المشرق

الكثلكة في القرن التاسع عشر

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

بزغت انوار القرن العشرين والكنيسة الكاثوليكيّة راتعة في مرابع الأمن والسعد راقية في معارج الفلاح تنير الشعوب باضوائها الساطعة وترشد الممالك والدول الى سُبل الصلاح والدين. نرى شيخ الثاثيكان وهو اسير في بلاطهِ يجيل انظار نائب المسيح الى اقاصي المعمور فلا يدع زاويةً تخرج من دائرة اهتمامهِ بكل الكنائس (٢ قورنثوس ١١: ٢٨) ولا يهمل خروفًا واحدًا من رعيَّتهِ التي تمتدُّ الى اربع خوافق السماء. هذا هو « جبل بيت الرب الذي اشار اليهِ ميخا النبي (٤: ١) الذي توطَّد في رأس الجبال وارتفع فوق التلال فتجري اليهِ الشعوب وتنطلق الامم قائلةً: هلموا نصعد الى جبل الرب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبلهِ ». اجل ان العواصف لا تزال تثار قمم هذا الطود وتناطح جوانبهُ وتشتهُ بالسحب لأنها تغضُّ من جلال منظرهِ وهيبة طلعتهِ وهو مع ذلك يسخر من الانواء لان اركانهُ راسيةٌ فوق الصخرة التي لا تقوى عليها قوات الجحيم (متى ١٦: ١٨)

على ان روح الله الذي أيَّد الكنيسة في كل اجيالها قد امدَّها في هذا القرن المتصرم بفيض بركاتهِ الغزيرة واجزل عليها سوابغ نعمهِ بحيث لا يتمالك كل ذي عقل سليم اذا نظر اليها بعين الاستقامة ان يصرخ: « هنا اصبع الله » وبيانًا لهذا القول اردنا في هذه المقالة ان نقابل بين حالة الكثلكة في غرَّة القرن التاسع عشر وحالتها في بدء القرن العشرين ليرى القراء انَّ يمين الله لم تقصر وان عجائبهُ في كنيستهِ تسحر الالباب وتفتن القلوب

وقبل ان نسترسل في الكلام لا نرى بدًّا من تنبيه القرَّاء على اننا استندنا في اقوالنا وخصوصًا في تدوين عدد الكاثوليك الى اصدق التآليف واصح التعليمات والى القوائم الدولية الرسمية (١ ونحن لا نأبى مع ذلك ان نُصلح ما لعلهُ يكون فرط منَّا سهوًا اذا استلفت احد الادباء اليهِ انظارنا

*

اعلم ان الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت بلغت في ختام القرن الثامن عشر حالةً حرجة حملت اعداءها على ان يتشدَّقوا بملء افواههم انَّ كنيسة رومة سقطت سقطةً لا نهضة لها من بعدها. والحقُّ يقال ان السفينة البطرسيَّة لم تَرَ منذ قرون عديدة تيَّارًا صدمها مثل الذي تصدَّى لها في ذلك العهد. فانها بينما كانت تخر العباب يدير سكَّانها احبار ذوو فضل عميم كلهم رجال الله يَرُعُ لهم اعداء الكنيسة انفسهم كبناديكتوس الثالث عشر واقليميس الثاني عشر وبناديكتوس الرابع عشر واقليميس الثالث عشر وبيوس السادس اذ ثار ثائر الكفر واعتصبت الشيع المستحدثة وهاج اصحاب الفتن فتمَّ بالحرف قول داود النبي (مز ٢ : ٢) ان « ملوك الارض والعظماء قاموا وائتمروا معًا على الرب وعلى مسيحهِ قائلين لنقطع ربطهما ونُلقِ عنَّا نيرهما » فسيق امام الاحبار الى المنفى وأُلقي في السجن وأُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة جيش الكنيسة المتماز وتلاشت الرسالات الكاثوليكيَّة في اكثر البلاد وقلَّ عدد دُعاة الدين وانتشرت الثورة الفرنسيَّة في انحاء اوربَّة كإعصار هائل او سيل جحاف يجرف كلَّ ما يلقاهُ في مسيرهِ

ولمَّا صحا العالم من سكرتهِ لم يشاهد غير الخراب فنادى بالويل والثبور وكرَّر في يأسهِ قول الرب لحزقيال لمَّا اراهُ العظام اليابسة (٣٧ : ٣) : « يا ابن البشر اترى تحيا هذه العظام ». أجل انَّ الله لقادر ان يحيي العظام الرميمة بل يستطيع ان يقيم من الحجارة اولادًا لابراهيم (متى ٣ : ٩) واذا شاء قام وانتهر الامواج والرياح فيحدث هدوء عظيم

١) ودونك اسماء بعض الكتب التي راجعناها لذلك ومؤلفوها ممَّن يوثق بهم :

1° The Statesman's year Book = 2° Missiones Catholicæ cura Congr. de Propag. Fide descriptæ = 3° Louvet : *Les Missions Catholiques au XIX° siècle* = 4° Piolet : *Les Missions Catho. Françaises au XIX° siècle* = 5° Hergenrhöter : *Histoire ecclésiastique ; Kirchenlexicon* = 6° Forbes : *Etudes* ؛ البشير في ٦ ايلول ١٨٨٣ *Janvier*, 1901 = 7° Almanach de Gotha, 1901 = 8°

وكذا جرى في الواقع فان الدول المتحالفة على نابوليون الاول مكّنت الكرادلة من انتخاب خلفٍ لبيوس السادس فاختاروا بيوس السابع الذي ما لبث ان عاد الى كرسيهِ مكرَّمًا وباشر الاصلاحات المهمّة واحيا الرهبانيّة اليسوعيّة بعد ان بقيت ملغاةً نيّفًا واربعين سنة. ومشى على خطّتهِ احبار عظام كلاون الثاني عشر وغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع وخصوصًا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا فبلّغوا الكنيسة مقامًا رفيعًا وبعد ان ظهرت على قاب قوسين من الهلاك اصبحت اليوم في عزّ ورونق لم تعرفهما في القرون السابقة حتى انهُ يمكنها ان تدعو القرن التاسع عشر احد قرونها الذهبيّة. وها اننا نستقري قارات الدنيا الخمس لنتحقّق ترقي الكثلكة فيها مدة هذا القرن الاخير

١ اوربة

يمكننا ان نقسم اوربّة في بدء القرن التاسع عشر الى قسمين فنميّز فيها الدول الكاثوليكيّة والامم غير الكاثوليكيّة من العنصر السكسوني وغيره

أ (الدول الكاثوليكيّة) كان يبلغ عدد المؤمنين فيها سنة ١٨٠٠ نحو ١١٥ مليونًا فنما هذا العدد وتزايد بالتوالد واهتداء عددٍ من الضالّين الى حجر الكنيسة حتى بلغ في آخر القرن التاسع عشر نحوًا من ١٥٥ مليونًا كما يظهر ذلك من الجدول الآتي:

جدول الدول الكاثوليكيّة في اوربّة في سنتي ١٨٠٠ و ١٩٠٠

(نقلًا عن تقاويم غوثا والاحصاءات الرسميّة الاخيرة)

اسماء الدول	عدد الكاثوليك فيها سنة ١٨٠٠	سنة ١٩٠٠
فرنسة	٢٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٥٠٠,٠٠٠
المانية (١	١١,٠٠٠,٠٠٠	١٨,٥٠٠,٠٠٠
النمسة	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠٠,٠٠٠
ارلندة	٦,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠ (٢
اسبانية	١٥,٠٠٠,٠٠٠	١٨,٠٠٠,٠٠٠
ايطالية	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٣١,٥٠٠,٠٠٠
البرتغال	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
البلجيك	٤,٠٠٠,٠٠٠	٦,٨٠٠,٠٠٠
	١١٣,٠٠٠,٠٠٠	١٥٣,٣٠٠,٠٠٠

١) كانت المانية في بدء القرن التاسع عشر تتركّب من مدّة ممالك مستقلّة منها كاثوليكية ومنها غير كاثوليكية ٢) ان لمجموع عدد الارلنديين الكاثوليك ثلاثة اسباب اولاً:

واذا اضفنا الى هذه الدول عدة بلاد مستقلة او ذات شرائع مخصوصة لم نحسبها كجمهوريَّة اندرو (١٢٠٠٠) وجزيرة مالطة (١٤٠٠٠٠) وجزائر باليار (٢٨٠٠٠٠) ولختنستين (١١٠٠٠) ولكسمبرج (٢١٨٠٠٠) وموناكو (١٠٠٠٠) وسان مارين (٩٠٠٠) وغيرها وجدنا انَّ الكاثوليك زادوا في الدول الكاثوليكيَّة نحو ٣٨ مليونًا

بيد ان هذا نموّ العدد لا يستحقُّ اعتبارًا وحدهُ لولا ان مؤمني اوربَّة ترقَّوا ايضًا في الروح الكاثوليكي والتدين. وقد ظهر ذلك فيهم بشواهد ناطقة ودلائل بيّنة صادقة منها بطلان البدع وزوال الاضاليل التي كانت ضربت اطنابها في ظهرانيهم كالبدعة الجنسينيَّة والمذهب الغليكاني (Gallicanisme) والآراء اليوسنيَّة (José-phisme) الى غير ذلك من الشيع التي كانت تناقض المعتقدات الدينيَّة وتناصب ارباب السلطة. وهي كلها اليوم قد اضحت اثرًا بعد عين. ومن هذه البيّنات الواضحُ العجيب الذي نراهُ في اوربَّة في عهدنا بين جميع الاساقفة وامام الاحبار فان رعاة البيعة معتصمون بالكرسي الرسولي اعتصامًا غير منفصم لا تكاد تسمع انَّ احدهم يعدل ذرَّة عن اوامر نائب المسيح وتعاليمهِ. ومنها ايضًا انتشار الجمعيَّات الخيريَّة والاعمال المبرورة التي تُعدُّ آية من آيات هذا العصر الذي دُعي قرن المبرَّات وجيل المنشآت الخيريَّة. ومنها غيرة الكاثوليك الملتهبة لخلاص الوثنيين وغير المؤمنين فانَّ الرسالات الكاثوليكيَّة بلغت في ايامنا ما لم تبلغهُ سابقًا. واذا استقريت انحاء المسكونة لا ترى منها زاوية خالية من المرسلين الذين ينشرون لواء الدين والفضيلة بين كل المتسكعين في ظلال الموت. وقد قلنا آنفًا انَّ هذه الرسالات كادت تدخل في خبر كان في اوائل القرن التاسع عشر. اما اليوم فتراها زاهية نامية يقرُّ باعمالها العجيبة اعداء الكنيسة فضلًا عن الكاثوليك. وعدد المرسلين يناهز ١٤٠٠٠ رجل من الرهبان وغيرهم و ٤٢٠٠٠ الف راهبة (١ هجروا الاوطان ونبذوا كلَّ ملاذٍ الدنيا ليبشروا بالمسيح. ولفرنسة في هذا العمل الخطير الحظ الاوفى فانَّها وحدها تُرسل الى خمس قارات العالم ١٢٠٠٠ مرسل و ٣٥٠٠٠ راهبة وهي تقوم بمعاشهم وتعضد مشروعاتهم الرسولية

الجماعات التي حدثت في ارلندة فاودت بحياة عدد لا يحصى من السكان. وثانيًا مهاجرة الارلنديين الى اميركة واوستراليا. وثالثًا الاضطهادات العظيمة التي قاسوها في سبيل دينهم

١) وفي سنة ١٨٠٠ لم يوجد ولا راهبة واحدة منقطعة الى الرسالات

٢ (الدول غير الكاثوليكيَّة) امَّا نموّ الكثلكة في الدول الاوربيَّة غير الكاثوليكيَّة فهو امر اعجب لا يمكن نسبتهُ الَّا الى قوَّة الحقيقة التي كحلت عيون الضالّين فاثارت عقولهم وعدلت بهم الى حظيرة المسيح. وهاك خلاصة تاريخ هذا الازدياد الغريب

(انكلترَّة وسكُتْلند) كانت الكثلكة في انكلترة وسكُتْلند في بدء القرن التاسع عشر في حالة يُرثى لها. فان الكاثوليك لم يكادوا يتجاوزون ١٢٠,٠٠٠ عدًّا يسوسهم ستَّة نوَّاب رسوليين وكان مواطنوهم يحيدون عنهم وينفرون بل يُلحقون بهم انواع الاذى لدينهم. امَّا في السنة ١٩٠٠ فقد اربى عدد الكاثوليك على ٢,٠٠٠,٠٠٠ في كلا البلدين يرعاهم ثلاثة رؤساء اساقفة (احدهم كردينال) و ١٨ اسقفًا ونيف و ٣٠٠٠ كاهن عالي وقانوني. وقد شيَّد الكاثوليك في مطاوي هذا العصر ١٢٠٠ كنيسة او معبد ولم يكن لهم قبلًا الَّا ٦٠ مصلًى فقط ثمَّ فتحوا ١٤٠٠ مدرسة ابتدائيَّة و ٣٠ مدرسة للدروس الثانويَّة والعلوم الخاصَّة يتقاطر الى هذه المدارس ٣٠٠,٠٠٠ طالب منهم في لندن وحدها ٢٧٠٠٠ دارس. امَّا عدد المتمذهبين سنويًّا بالدين الكاثوليكي من الشيع البروتستانيَّة فيبلغ ستة آلاف اكثرهم من الذوات والاعيان ودعاة الدين. حتى انك لا تكاد اليوم ترى أسرة واحدة شريفة تخلو من بعض الاعضاء الكاثوليك. وفي دار الندوة ومجلس الاعيان عدد غفير من ابناء الكنيسة لهم فيها نفوذ عظيم. هذا فضلًا عن جملة مراتب عليا فاز بها الكاثوليك واستحقوا ثناء الجمهور كولاية الهند ونظارة لندن العموميَّة. فما تقول النشرة الاسبوعيَّة بعد هذا أترى انَّ الكثلكة في انكلترة في تقهقر كما تزعم ؟ . ولم يكتفِ الكاثوليك الانكليز بكل ذلك فانَّهم قد فتحوا مدرسة كبرى في ميل هيل ليخرجوا بها كهنة من المرسلين غايتهم ان يبثُّوا الدين الكاثوليكيّ في انحاء المعمور لا سيَّما الاملاك الانكليزيَّة

(هولندة) وان وجَّهنا النظر الى هولندة وبحثنا عن ترقّي الكثلكة فيها وجدنا امرها اعجب من انكلترة. لم يمرّ على هذه الدولة سبعون سنة مذ كان فيها الكاثوليك في اسوإ حال يذيقهم ملكهم غليوم دي تاسو ضروب النكال. وكان عددهم في بدء القرن التاسع عشر نحو ٣٥٠,٠٠٠ اعني ثُمن سكَّان هولندة. وقد صارت حالهم اليوم على غاية ما يُرام فانَّ عددهم قريب من المليونين يسوسهم رئيس اساقفة مع اربعة اساقفة و ٣٠٠٠ كاهن فاضحوا نحو نصف سكان الدولة. امَّا نفوذهم فحدِّث عنهُ ولا حرج

فتراهم اكتسبوا ثقة ملكهم ومواطنيهم يساعدون ذوي الامر في كل المناصب الشريفة ويقاومون الثورة والفتن حتى اقرّ البروتستانت انهُ لولاهم لتلفت المملكة وذهبت شذر مذر وترى اليوم ثلاثة وزراء منهم في شورى الدولة. وما يزيد الكاثوليك فرحاً انهم يرون اخوتهم المنفصلين عنهم بالمذهب يجحدون اضاليلهم افواجاً فيدينون بالدين القويم

ومما يلحق بهولندة دوقيَّة لكسمبرغ بين بلجكة وبروسية وفرنسة واهلها في عهدنا جميعاً من الكاثوليك اللهمَّ الّا الفين منهم في جملة ٢٢٠٠٠٠ نفس. وروح الدين في هذه الدوقيَّة معزَّز والفضائل المسيحيَّة مزدهية نامية

(سويسرة) قد امتحن الله ايضاً مؤمني سويسرة في بوتقة التجارب والاضطهادات فخرجوا من نار المحن كالذهب الابريز فانَّ الكثلكة قد تأصلت في ايالاتها الكاثوليكيَّة فزاد اهلها تمسُّكاً في الدين ونموّاً في كل اعمال الصلاح. امَّا الايالات غير الكاثوليكيَّة التي لم يجسر ان يدخلها كاهن كاثوليكي في القرن الماضي فانها فتحت ابوابها للدين الحق فنموا نموّاً عجيباً حتى صار لهم اليوم القول الراجح

مثال ذلك انَّ مدينة برن لم يكن فيها الّا ٥٠٠ كاثوليكي سنة ١٨٠٠ وهم اليوم اكثر من ٦٠٠٠ وكانت زوريخ وطن زوِنغل خالية من الكاثوليك وهم اليوم ٣٨٠٠٠. واعجب من ذلك ان جنيفا معقل المذهب البروتستاني قد اضحى فيها البروتستانت اقل من الكاثوليك فكانوا ٢٠٠ سنة ١٨٠٠ وهم الان ٦٨٠٠٠

واذا راجعنا القائمة الاخيرة التي اصطنعتها الحكومة السويسريَّة وجدنا ان عدد الكاثوليك بلغ ستَّة اضعاف ما كان عليه في بدء القرن التاسع عشر فكانوا سنة ١٨٠٠ نحو ٤٢٢٠٠٠ وهم اليوم ١,٢٣٣,٠٠٠ لا يزيد عليهم البروتستانت سوى بضع الف في كل سويسرة. وللسويسريين نائب رسولي وستة اساقفة و ٦٠٠٠ كاهن انعشوا فيهم روح التقوى والغيرة واحيوا الفضائل السامية التي جعلتهم من افضل اهل زمانهم.

(بلاد بريم وهمبورغ ولوبيخ) لم يكن للكثلكة اثر في هذه البلاد في غرَّة العصر المنصرم والكاثوليك فيها الآن نيّف و ٣٦٠٠٠ منهم ٩٠٠٠ في بريم و ٢٥٠٠٠ في همبورغ و ٢٠٠٠ في لوبيخ. وقس على ذلك بلاداً كثيرة من شمالي المانية

(دنيمرك واسوج ونروج) كان الدين الكاثوليكي منفيّاً من هذه الدول في القرن التاسع عشر حتى انَّ اهل تلك البلاد كانوا يعاقبون بالموت كلّ كاهن كاثوليكي

يبشر بالايمان بينهم ودامت هذه الحال الى سنة ١٨٤٠. امّا اليوم فقد هبّت بينهم روح الحريّة فاطلقوا سراح الكنيسة الكاثوليكيّة واخذ المؤمنون في الانتشار وهم اليوم قريب من ١٠,٠٠٠ يرعاهم ثلاثة نوّاب رسوليين وكانوا في السنة ١٨٠٠ نحو ٢٠٠ فقط. وقد دخل اليسوعيّون تلك البلاد وفتحوا في كوبنهاغ مدرسةً كبرى يدرس فيها عدد غفير من البروتستانت فضلًا عن الكاثوليك. وقد اثنت الحكومة الحليّة مرارًا على همة المرسلين وتراهتهم وفضائلهم وهي اليوم تنشّطهم على الاقدام في العمل

(روسيّة) لا يسعنا هنا ان نفيض في الكلام عمّا اثارتهُ الدولة الروسيّة من ضروب الاضطهادات لماكنة الكثلكة في امصارها فانّ صدى اوجاع الكاثوليك رنّ في كلّ الاقطار المتمدّنة حتى ان الاحبار الرومانيين احتجّوا دفعات عديدة على هذه المعاملات باذاء كل الدول طالبين من عدل القياصرة ان يفرجوا كربة الكاثوليك ويردّوهم من منفاهم في سيبرية وليس لهم ذنب الّا اعتصامهم بحبل دينهم. هذا وقد افادتنا بعض الجرائد ان حال الكاثوليك في روسيّة قد تحسّنت مذ تبوّأ عرش السلطنة القيصر الحالي نيقولا الثاني ولهم الامل الوطيد انهُ سيزيدهم حريّة اذا ما عرف حسن نيّاتهم وامانتهم في خدمة دولتهِ. امّا عدد الكاثوليك في روسيّة فيقيف على ٧,٤٠٠,٠٠٠ منهم ٧,٣٠٠,٠٠٠ يتبعون الطقس اللاتيني في پولونيا وموهيلاف والباقون من الطقس اليوناني يُعرفون بالارمنيات او الروثان. وكان عدد هؤلاء نحو الف الف في بدء القرن التاسع عشر تتقّبهم اصحاب الامر بكلّ اصناف العذابات حتى لم يبقَ منهم الّا ١٠٠,٠٠٠ يتسترون لممارسة دينهم وفي كل سنة يرسل الحبر الاعظم مرسلين يسوعيين خفيةً ليمنحوهم الاسرار في ظلمات الليل. وقد عرفنا من هؤلاء بعضهم اكتشف عليهم الروسيّون فزجّوهم في السجون لم يخرجوا منها الّا بعد السنين الطوال

(شبه جزيرة البلقان) تشمل شبه جزيرة البلقان بلادًا عديدة ازهرت فيها الكثلكة في خلال القرن التاسع عشر. منها البشناق (Bosnie) والهرسك (Herzé-govine) فانّ الكاثوليك كانوا فيها في اواسط القرن السابق فئة لا يربون على ٢٥٠٠٠ وهم اليوم ٣٣٤,٠٤٢ (كما ورد في السالنامة الرسميّة) تحت ادارة وئيس اساقفة سارايفو وثلاثة اساقفة آخرين

ومنها رومانية فقد نما فيها عدد الكاثوليك حتى صار ١٦٠,٠٠٠ ولم يكن قبل

مئة سنة يتجاوز ١٦,٠٠٠. ولاهل رومانية رئيس اساقفة في بكرش او بوخارست واسقف في جبّي يساعدهما في فلاحة كرم الرب ٩٠ مرسلاً من رهبانيّات شتى

ومنها السرب يمجّد الله فيها ٢٠,٠٠٠ كاثوليكي بعد ان كان عددهم محصوراً في ٦٠٠٠ نفس في مفتتح القرن السابق

ومنها البلغار فقد صدحت في ظهرانيهم الكرازة الكاثوليكيّة فأتت باثمار طيّبة بهمّة المرسلين. الّا ان شيطان الفتن تعرّض لغيرتهم وتمكّن من زرع الزوان في حقل رب البيت. ومع ما لحق البلغار الكاثوليك من البلايا فعددهم اليوم ١٤,٠٠٠ وقد كانوا في اواخر القرن السابق بضع مئات فقط. والى البلغار يُضاف كاثوليك روملي الشرقيّة التي عاصمتها فيلبه وهم لا يقلون عن ١٦٠,٠٠٠ فيكون المجموع ١٧٤,٠٠٠

ومنها البانيا يسوس المؤمنين فيها رئيس اساقفة مركزه في اشكدار وثلاثة اساقفة وعدد الكاثوليك فيها ١٠٠,٠٠٠ وكانوا في سنة ١٨٠٠ اقل من ٥٤٠٠٠

ومنها الجبل الاسود وكان الكاثوليك فيه سنة ١٨٧٨ شرذمةً لا يزيدون عن ٣٠٠ ولهم اليوم اسقف في انتيفاري وعددهم ينيف على ١٢٠٠٠

ومنها اخيراً تركية اوربّة التي عاصمتها الاستانة العليّة. فان الكنيسة الكاثوليكيّة تحت ظل الاريكة العثمانيّة السنيّة قد افلحت فيها ونمت حتى صارت اشبه بشجرة باسقة وارفة الافنان وكانت في بدء القرن السابق كحبّة الخردل التي اشار اليها الانجيل الطاهر. وكان عدد الكاثوليك في تركية اوربّة في سنة ١٨٠٠ نحو ١٢٠٠٠ ضائعين في عداد سكّانها وهم اليوم اكثر من ١٦٠,٠٠٠ ترى منهم في حاضرة الدولة وحدها نحو ١٠٠,٠٠٠ يقسمون الى كاثوليك لاتينيّين عددهم فوق ٥٠٠٠٠ وكانوا ٨٠٠٠ في غرّة الجيل المنصرم ثم الى كاثوليك بلغار من الطقس الشرقي نحو ٣٠,٠٠٠ وكلهم ممن ارتدّوا الى حجر الكنيسة في اثناء هذا القرن ثم ارمن كاثوليك ١٠,٠٠٠. امّا الباقون فهم من طقوس شرقيّة مختلفة كروم يونان كاثوليك وروم ملكيين وسريان الخ. وفي الاستانة نائب رسولي هو اليوم الحبر الجليل صاحب الآثر العديدة السيد بونتي يساعده نحو ٢٥ كاهناً عالمًا و ١٥٠ راهباً من رهبانيّات شتى و ٨٠٠ راهبة للمستشفيات والمياتم ومدارس الاناث

(اليونان والارخبيل) للكنيسة الكاثوليكيّة في اليونان والارخبيل سهم فائزٌ

في القرن التاسع مع ما تصدّى في سبيلها من العوارض. فان في اثنة رئيس اساقفة يتقلد زمام رعيّة تناهز ٢٠٠٠٠ نفس. اما الارخبيل فيدبّر مؤمنيهِ رئيس اساقفة مركزه في جزيرة نكس وثلاثة اساقفة في سنتورين وساقز (Chio) وسيرا ثم نائب رسولي في كريت ويبلغ عدد الكاثوليك في هذه الجزائر ١٥,٠٠٠

هذه حالة الكثلكة في اوربّة في آخر القرن التاسع عشر فانَّ اولادها الذين يجرون بمقتضى سننها سواء كانوا في البلاد الكاثوليكيَّة او الدول غير الكاثوليكيَّة قد بلغوا من النموّ والانتشار ما لم نجدهُ في غيرهم. فهم اليوم نحو ١٩٠,٠٠٠,٠٠٠ ولم يكونوا في القرن الاخير سوى ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فتكون زيادتهم ٥٠,٠٠٠,٠٠٠

أفليس لابناء الكنيسة ان يمجدوا الله ويسبّحوهُ عن العظائم التي صنعها في بيعتهِ مع اننا لم نذكر في الغالب الّا مجرَّد عدد الكاثوليك ولم نصف شيئًا من اعمالهم المبرورة ومساعيهم المشكورة في سبيل الله وخدمة الدين والوطن. غير انَّ هذه العجائب الرَّبانيَّة مع عظم خطرها ليست ادنى شأنًا في بقيَّة قارات العالم كما سترى في عدد قادم

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تابع لما سبق)

(القربة المنفوخة) واغرب من القفة والكلك وكوب النهر على القربة المنفوخة وذلك ان العراقيين يأخذون اليوم جلد الماعز او جلد التيس وبعد دباغتهِ يخيطون اطرافهُ الّا من مكان واحد فيتركونهُ مفتوحًا وهو حلق القربة وعند قطع النهر ينفخهُ صاحبهُ ويربطهُ عند حلقهِ بخيط وهو الوكاء ثم يستبطنهُ او يغمرهُ عند صدرهِ او يتأبطهُ او يجعل نصفهُ بين ساقيهِ والنصف الآخر تحت بطنهِ ثم يربط ثيابهُ على رأسهِ ويأخذ بقطع النهر مسافة خمسمائة متر عرضًا بشرط ان يحرّك رجليهِ حركات دفاعيَّة. وعند وصولهِ الى الضفة الاخرى من النهر يلبس ثيابهُ ويفشّ الرّطب بحلّهِ للوكاء ثم يتأبطهُ عائدًا الى منزلهِ

هذا هو اذن مركب الاشوريّ او البابلي الفقير الذي لا يعرف السباحة وليس في

يده من حطام الدنيا ما يدفع اجرة العبور وكان العسكري الاشوري يتأبط قربتهُ رابطاً ثيابهُ على رأسهِ حاملاً ترسهُ على ظهرهِ ماسكاً سلاحهُ بيدهِ ويجوز النهر الى الضفة الثانية ليطارد عدوهُ وربَّما صارعهُ وهو بعد في منتصف النهر راكباً قربتهُ . قال المسيو جرل اوبير : « رأيتُ مراراً عديدة على عاديَّاتٍ صوراً محفورة تمثل رجالاً يسبحون وهم متأبطون قربة منفوخة تخلُّصاً من الغرق. فهذه الطريقة يستعملها غالباً العسكر الاشوري ليتمكَّن من حمل سلاحهِ الثقيل ويستعملها ايضاً الاشوريون الجاهلون فنَّ السباحة ولم يزل العراقيون في أيامنا هذه يستخدمون هذه الواسطة لقطع النهر والعرب خصوصاً يصارعون عدوهم وهم راكبون القربة ويدهم الرمح وعلى كتفهم البارودة » اه

قال المسيو غليوم ليجان في رحلتهِ الى العراق : « أرى رجالاً يقطعون النهر وهم متأبطون القربة المنفوخة وكلهم عراة الجسم ويستر عورتهم لباس قصير من الخام الازرق وثيابهم ملفوفة حول رؤوسهم على مثال العمامة . وبعد وصولهم الى شاطئ النهر يلبسون عباءتهم ويحملون القربة او القربتين على كتفهم ويذهبون في حال سبيلهم » اه (٢

وفي متاحف اوربَّة للعاديَّات عدَّة قطع تدعم لنا صحَّة وجود القربة في عهد الاشوريين والبابليين مثال ذلك صورة ناتئة هي وصلةٌ من جدران قصر قيوجك تمثل رجالاً اشوريين يقطعون النهر على قرَب منفوخة وهي تُصان في المتحف البريطاني

ولم يستعمل القدماء القربة فقط لقطع النهر بل ايضاً لنقل الماء بها اما للسفر واما لمنازل اهل المدن وكان ذلك جارياً حتى عند عرب الحجاز قال هيرودوتس : « ولما عقد ملك العرب عهدهُ مع رسل قمبسوس ملأ من الماء قِرَباً وحملها على كل الجمال التي كانت في اوديتهِ ولما تمَّ ذلك اخذوها الى الاماكن القاحلة ومضى الى هناك ينتظر جيش قمبسوس » (٣

واذا مررتَ اليوم في طرق بغداد او البصرة اوقفك عن المسير ازدحام السفائن برهة من الزمان وكلهم قد حملوا قرَبهم على الحمير لنقلها الى الدور واذا قصد العراقيون

(١ Jules Oppert : *Expédition scientifique en Mésopotamie*, T.I, p. 81

(٢ Guillaume Lejean : *Tour du monde*, 2e *Semestre*, p. 50 - 1867

(٣ Hérodote : l., III. 1861

السفر الى أطراف شاسعة اخذوا معهم قرَبًا ملآنة ماء. وعلّقوها أمامهم على ظهر الدابة وهذا ما سماهُ العرب بالإدارة

ويحسن بنا هنا ذكر واسطة اخرى لقطع النهر اخفّ كلفةً من القربة واقوى منها في الصلابة لا تقوى على اتلافها عوامل الطبيعة الّا بعد مدّة مديدة من السنين. وهي واسطة خفيفة الحمل عظيمة الفعل ألا وهي كَرَب النخل وهو اصل السعَف ترى اليوم العراقيين من صغارهم حتى كبارهم اذا عزموا على تعلم السباحة ربطوا على بطونهم اربعة او خمسة اكراب الواحد بجنب الآخر وكلما تقدّم الواحد في فن السباحة وتمكّن منها درجةً رمى بواحدٍ من هذا الكرَب حتى يأتي على آخرها وكل ما كان الكرب كبيرًا عريضًا عظمت قيمتهُ. وعندي لو استبدلت مراكبُ البحر قطعَ الغلّين بالكرب لبقي في صندوقها الخاص مبلغ عظيم من الدراهم. وزد على ذلك ان الغلّين سريع العطب تفعل فيهِ الحشرات فعل النمل في اتّخاذ مساكنها في طبقات الارض. ولم أرَ للكرب ذكرًا في كتب التاريخ ومع ذلك كلهِ لا يخامرني الريب بان الاشوريين والبابليين لم يسهوا عن استعمالهِ لهذه الغاية اذ النخل كان في عصرهم. تُرى أفاتَتهم هذه المعرفة بينما كانوا يتنعمون بالنخل على طرائق شتى حتى بحوصهِ. كيف لا وعدد من المؤرخين القدماء يخبروننا ان: « عند العجم غناء لطيفًا يعدّ للنخل ٣٦٠ منفعة متباينة » (١

الصيد في النهر

كان الاشوريون والبابليّون كثيري الولع باكل سمك الفُراتين. وقد استنبطوا طرائق متعدّدة لصيدهِ بسهولة لا مزيد عليها منها الصنّارة (والعراقيّون يسمونها الفتالة) والشصّ. فيأخذ السمّاك الصنارة ويجعل الطُعم فيها ويرميها في الماء على خيرة الله بعد ما يبصق على الطعم ثم ينتظر فريستهُ ساعات متوالية تحت شمس العراق المحرقة غير مبالٍ بالصداع ولا بالحمى ولا يلفت نظرهُ يمينًا ولا شمالًا وهو قد جلس القرفصاء على حافة النهر عاري الساقين بلا سراويل مكشوف الذراعين والصدر لا يستر جسمهُ سوى ثوب قصير من الخام الابيض او الازرق او قباء من الصوف الخشن الحياكة ويسمّى عندهم

(١ Strabon XIV, I. 14 ; Théophraste : *Hist. Plant.* II, 2. ; Pline : *Hist. Nat.* XIII. 4

« بالبشتْ » وفي رأسهِ ما يسمونهُ بالشماغ وهي كوفية من القطن المنزول ملفوفة حول العرقچين (العرقيَّة) . واذا احسَّ بان السمكة تأكل الطعم تمكَّن حينئذٍ من الخيط احسن التمكُّن ونتل الصنارة بخفَّة تباري سرعة البرق واخرجها من الماء ثم يأخذ فريستهُ ويشكر ربَّهُ ويربطها بخيط ثانٍ ويتركها على حدةٍ في الماء بجانبهِ وهي ترقص حزنًا وألمًا حتى يصطاد غيرها وهكذا يجري في عملهِ طول النهار اذا لم يرزقهُ الله كفايتهُ

امَّا الطُّعم فعبارة عن دودة صغيرة حمراء او سوداء يبحث عنها السمَّاك في بطن الشطّ او في حافة السواقي او في الاحواض وهي من الدود المسمى بالخراطين وقد يكون الطعم ايضًا قطعة من العجين البارد الغير المختمر او وصلة من اللحم او من احشاء السمك المنتنة

وبالصنَّارة يُصطاد السمك الصغير والوسط . امَّا الكبير فيصطادهُ الشص وهو عبارة عن صناوة خشنة متينة ويُربط بالخيط على بُعد مترين من الشص قطعةٌ من الرصاص غايتها تغطيس الصنارة الى قعر الماء حيث يسكن السمك الخشن . والطعم هو امَّا قطعة من التمر او من اللحم او وصلة من احشاء السمك ويختار السمَّاكون اعتياديًا لصيد السمك الساعات الاولى من النهار وذلك قبل مجيء السفَّانين والمكارين وغيرهم الى النهر

هذا ولو طالعت الصفحة العاشرة من كتاب فرنسوا لنورمان لوقفتَ على صورة مأخوذة عن قطعة من برج نمرود تمثل صيَّادًا اشوريًا بيدهِ خيط الصنارة قاعدًا القرفصاء على حافة دجلة مكشوف الرأس والصدر والذراعين عاري الساقين على جسمهِ ثوب من القطن نازل الى ما فوق الركب وعيناهُ محدقتان الى النهر وتطابق هيئتهُ كل المطابقة لصيَّادي الفراتين في يومنا هذا (١

لكن شيئًا واحدًا يفرق الصيَّاد الاشوري او البابلي عن صيادنا العراقي وهو ان الاول يعتني اعتناء فائق العادة بجدل لحيتهِ وشعر رأسهِ جدلاتٍ رفيعة دقيقة ولا يهتمّ بغطاء رأسهِ كما يفعل الثاني الذي يترك لحيتهُ وشعر رأسهِ باوساخهما بشرط ان يلبس العرقيَّة والشماغ قبل كل شيء تحفُّظًا من ضربة الشمس القاضية

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient.* T. IV, p. 10

السقي

كان الاشوريون او البابليون يسقون زرعهم من الفراتين بواسطة الدلو يشهد لنا بذلك نصّ احدى العاديّات وهو : «. . . . يستقي الماء (لسقي الارض) . . . ويحرّك الدلو لسحب الماء الخ » (١

كانوا يقيمون على طرف النهر عمودًا مبنيًّا بالطابق وفي اعلاهُ عند الوسط يتركون ثقبًا على عرض العمود ليُدخل فيهِ القضيب المربوط بهِ الدلو بحبل طويل ينزل الى عمر النهر . ولمّا يقصد الفلاح برّ الماء يقبض على طرف القضيب ويرفعهُ عن الارض مقدارًا كافيًا حتى يغطس الدلو في النهر ثم يرجع فيضغط على القضيب ثانية حتى يناشل الدلو من الماء فيجذبهُ اليهِ بحركة دوريّة صغيرة فيتلقاهُ من الجهة الاخرى ويُفرغهُ في ساقية خصوصيّة طويلة المدى توصّل الماء الى أطراف الزرع . وكلما كان القضيب طويلًا قلّت قوّة الضغط عليهِ والعكس بالعكس واصول ذلك مبنية على شرائع المخل . وحسبك شرحًا ان تتأمل ملیًّا الرسم المطبوع في كتاب لنورمان الصفحة ٧٥ من المجلد الرابع وهو مأخوذ عن صورة نائتة وجدت في قصر الملك اشور بانيبال وهي تمثل رجلًا اشوريًا يجرّ الماء بالدلو على هذا النسق من نهر دجلة (٢

ولم يزل هذا المسقى معروفًا في البصرة ونواحيها الى يومنا هذا . وكذلك في بلاد مصر وهو الذي يعرف عندهم باسم الشادوف وعربيّتهُ القصيحة المتزفة اما في سائر العراق فيستعملون ايضًا الدلو للسقاية ولكن بطريقة اسهل وذلك كما سترى :

يبتدئ اولًا الفلاحون بان يحفروا امام بستانهم بئرًا عميقة عريضة مدورة الشكل لها قناة مكشوفة للهواء او مستورة تحت الارض توصل النهر بالبئر كيلا ينقطع عنها الماء وفي موسم نضب المياه يضطرُّ الفلاحون الى تطويل تلك القناة بحفرها وسط الارض الجديدة البارزة من تحت المياه وهي ما يسمّونها عندهم بالراط . وعند حافة البئر على مساواة الارض من صوب البستان ينصبون بكرة من خشب قائمة على عودين من خشب ايضًا وعالية عن سطح الارض مقدار متر واحد ونصف متر . وعلى هذه البكرة يمرّ الحبل المربوط بهِ الدلو . ويُربط الطرف الثاني من الحبل بنير الدابّة ولكل دلو

(١ Lenormant : *Etudes accadiennes*. T. III p. 17

(٢ Lenormant : *Hist. Ancienne des peuples de l'Orient*. T. IV p. 75

بكرة ودابة . فاذ يحتاج صاحب البستان او الزارع الى اربعة او خمسة دلاء يُقتضى لهُ اربع بكرات واربع دواب لا مناص منها ويقتضى لهُ اربعة اشخاص يسوقون الدواب . امَّا الدابَّة فتجرّ الدلو من البئر بسهولة وذلك انها تنزل حفرةً مصنوعةً قدام البكرة من جهة البستان على مثال الدرج يسمونها ميدانًا والدابة تنزلها قليلًا قليلًا على مهل يرافقها الفلاح حتى يصب الدلو في الساقية المخصصة لذلك . ثمَّ يرجع فيصعد مع الدابة الى اعلى الحفرة عند البكرة وهكذا ينزل ويصعد طول النهار وقسمًا من الليل حتى يشبع زرعهُ ماء . والعراقيون يطلقون لفظة « جَرد » او « كَرْد » على هذه البئر وما يتعلق بها والكلمة فارسيَّة مشتقَّة من كَرْدَن اي حمل وكان العرب في ايام الخلفاء العبَّاسيين يسمونها غَرْبًا . غير ان الترس لمَّا عظم نفوذهم في هذه البلاد دخل لغةَ هذه النواحي اصطلاحات اعجميَّة كثيرة (الباقي للآتي)

رسالة عقليَّة

في وجود الباريْ تعالى وكمالاتهِ واقانيمهِ (تتمَّة)

تأليف بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الملكي

الباب الخامس عشر

في قولنا اب وابن وروح قدس اله واحد

وربَّ (١ قائل يقول ان قولك الذي قدَّمتهُ في توحيد الباريْ سبحانهُ وتعالى يخالف اعتقادكم لان النصارى يقولون ان الله تعالى آبٌ وابن وروح قدس وهذا القول يدلُّ على ثلثة لا على واحد لانَّ الآب غير الابن والابن غير الاب والروح القدس غير الاب والابن فمن ههنا قلنا ان قولكم يخالف اعتقادكم فان كان (٢ عندكم ما يزيل ظنّ كل مخالف لمذهبكم في انكم تعتقدون ثلثة آلهة فاوردوهُ لنعلمهُ لاسيما ان الاب عندكم إله تامّ والابن إله تامّ والروح القدس إله تام

١) ويروى : ورب ٢) ويروى : فان يكن

فاقول في ذلك مستمدًّا العون والتوفيق من البارئ تعالى (١ اننا معشر النصارى المؤمنين لمَّا رأينا حدوث الاشياء علمنا انَّ [شيئًا] غيرها أحدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذاتها لما فيها من التضادّ (والتقلب) فقلنا انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لننفي العدم عنهُ. ورأينا الشيء [ينقسم] قسمين شيء حيّ وشيء غير حي فوصفناهُ باجلّ القسمين فقلنا حيّ لننفي الموتانيّة عنهُ. ورأينا الحيّ ينقسم قسمين حي ناطق وحي غير ناطق فوصفناه بافضل القسمين فقلنا ناطق لننفي الجهل عنهُ والثلثة الاسماء هي إلهٌ واحد (وهو الإله) الذي لا يتبعّض ولا يتجزأ فلا هو ثلثة بمعنى ما هو واحد اي ليس هو ثلاثة ذوات بل ذات واحدة ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلثة اي ليس هو صفة واحدة بل ثلاث صفات (٢ فالذات الذي هو عندنا الاب الشيء. (٣ والابن النطق والروح القدس الحياة. وهذا رأينا ومعنى قولنا ان البارئ سبحانهُ وتعالى إله واحد ووَصفنا لهُ بثلاث صفات جوهريّة وقولنا انهُ ابٌ وابنٌ وروحٌ قدسٌ نريد بذلك أنهُ تعالى شيء حي ناطق. كقولك لهيب النار وضوء النار وحرارة النار وهي نارٌ واحدة ليست ثلاثة نيران. وكقولنا قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس وهي شمس واحدة وليس ثلث شموس. وكقولنا عقل الانسان ونطق الانسان وحياة الانسان وهو انسان واحد وليس ثلثة اناسيّ

الباب السادس عشر

[في رأينا] في الابوّة والبنوّة

واما قولنا اب وابن فالابوّة والبنوّة قد تكونان على وجهين اما ابوّة [كثيفة وبنوة] كثيفة بمباضعة وتناسل وتقدُّم الاب قبل الابن وتأخر الابن عن الاب مثل زيد عن ابيهِ واما ولادة لطيفة (بغير مباضعة ولا تناسل ولا تقدُّم ولا تأخر) كولادة العقل للنطق وولادة قرص الشمس للضوء والروائح الطيبة من الشيء المولودة منهُ. والى هذا المعنى ننحو في قولنا اب وابن لا الى المباضعة والتناسل. فاما الروح القدس فهو حياة البارئ تعالى لانهُ لا يكون عاقل ناطق الّا حيًّا وهذا انما (٤ يزيل الظن فينا

---

١) ويروى: من الله سبحانهُ وتعالى ٢) يريد هنا الصفات الشخصيّة كما شرحنا ذلك في المشرق (راجع الحاشية ٣ من السنة ١ ص ٨٤١) ٣) يريد بالشيء المبدأ والاصل الذي منهُ يُصدر الابن والروح القدس وهذا الاصل لم يصدر عن مبدإ آخر
٤) ويروى: مما

اننا اذ قلنا اب وابن وروح قدس انّا نجعل لله ابناً من مباضعة وتناسل او انّ الاب قبل الابن والابن بعد الاب كما تكون الآباء والبنون معاذ الله من ذلك بل اعتقادنا ان الله تعالى لم يزل اباً اي ناطقاً . ولم يزل الابن ابناً اي نُطقهُ

الباب السابع عشر

في قولنا ان الاب إله تام والابن إله تام والروح القدس إله تام وليس هم ثلثة آلهة بل اله واحد

واما قولنا ان الاب إله تام والابن إله تامّ والروح القدس إله تام وليس ثلثة آلهة بل إله واحد فيجري مجرى من معهُ ثلاث قِطَع ذهب مثل خاتم وسوار ودُمْلج فنقول عن كل قطعة من الثلث القطع انها ذهبٌ تامّ وليست الثلث القطع ثلاثة اذهاب بل ثلاث قطع والذهب واحد لان التثنية والتكثير لا يقعان على الجوهر بل على الاعيان

الباب الثامن عشر

في انهُ لا يجب ان تكون سائر الصفات التي يوصف بها الباري تعالى اقانيم

ولقائل ان يقول : فقد يُقال سميع بصير قادر وحنان جواد كريم رحيم وما شاكل ذلك من هذه الصفات فأضيفوا كل صفة من هذه الصفات الى الثلاثة الاقانيم (١ المقدَّم ذكرها فيصير ثلثين واربعين صفة واكثر من ذلك. فاقول ان اقتصارنا(٢ على الثلث الصفات المذكورة دون غيرها لانها صفات جوهريّة فاي صفة ذكرتَ غير الثلث تجرُّ معها جوهرًا آخر غير جوهر الباري تعالى . مثل ما اذا قلنا « قادر » فقد جرَّت هذه الصفة معها جوهرًا آخر وهو المقدور عليه . واذا قلنا « جواد » فقد جرَّت معها الجود عليه . واذا قلنا « سميع » فقد جرَّت معها المسموع منهُ وما شاكل ذلك . واما اذا قلنا انهُ تعالى « شيء » فما تجرّ هذه الصفة معها جوهرًا غيرهُ واذا قلنا « ناطق » لم تجرّ معها جوهرًا سواه واذا قلنا « حيّ » فلم تجرّ معها جوهرًا غيرهُ . فهذه ثلث صفات جوهريّة كلّ صفة منها غير الاخرى والاله واحد . اما بقيّة الصفات فهي صفات لواحق ليست بجوهريّة

الباب التاسع عشر

في كيف وعلى اي معنى يسمى السيد المسيح ابن الله

فان قال قائل : فكيف تسمّي السيد المسيح ابن الله وهو ذو جسم داخل عليه

١) وبروى : الثلاث الصفات ٢) وبروى : اختصارنا

الاعراض والحدود التي يُحدّ بها البشريون قلنا ان السيد المسيح عندنا (متّحد من) قديم ومحدث . فالقديم الكلمة المولود من الذات الذي هو العقل قبل الدهور الذي بهِ خُلق كل ما يُرى وما لا يُرى من الكثائف واللطائف اعني النطق الذي بهِ خُلقت السماوات والارض وما بينهما . والمحدث (هو الناسوت الذي اتّحد بهِ) وهو المولود من السيدة مريم الذي لهُ ابتداء وداخلٌ عليهِ الحدود وقابل الاعراض . فهو إله من حيث هو قديم ازلي وهو انسان من حيث هو ابن السيدة مريم . فعل المعجزَ بلاهوتهِ واظهر العجز بناسوتهِ والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما نقول زيد ميت مضمحلّ بجسده وزيد باقٍ غير ميت ولا دارس بنفسهِ والقولان يُطلقان على زيد واحد وكالحديدة التي يحميها الحدّاد بالنار حتى تصير نارًا ويطرّقها ويطويها ويقطعها فالشجّ والقطع والطي لطبيعة الحديد أمّا طبيعة النار فبريئة من ذلك بل تفعل ما في خاصّتها وهو الضياء والحرارة والاحتراق . فعلى هذا القياس وأُبنا في السيد المسيح وفي ولوده وفي نموهِ وآلامه . واما الظهور (اعني ظهور) القديم في المحدث فيجري مجرى حدوث العالم في انّهُ جودٌ وكرم في البارئ تعالى (عزّ وجلّ) (١

الباب العشرون

في كيف ان السيد المسيح إله اذ هو قديم ومحدث

فان قال قائل : فكيف تقولون ان السيد المسيح إله وهو مركّب من جوهرَين (٢ قديم ومحدث . قلنا اننا نقول ان السيد المسيح إله وان كان مركّبًا من جوهرَين قديم ومحدث لانهُ اذا اتحد الفاضل بالدون او اللطيف بالكثيف غلب اسم الفاضل على الدون واللطيف على الكثيف كما انهُ اذا اتحدت النار بالحطب لا يقال نار وحطب بل نار . وكما يقال عشرة انفس اذا كانوا عشرة اناس ولا يقال عشرة اجسام وكما اذا الانسان قسم بانجيل او بزبور او قبّل احدهما فالقسم والتقبيل لا فيهما لا للورق والمداد وتجليل المداد والورق لاتحاد كلام الله بهما وكونهما مصحفًا واحدًا . وكمثل ما اذا وصل الى انسان كتاب من انسان يجلّ قدرهُ عندهُ فيقبّلهُ ويضعهُ على عينيهِ فذلك اكرامٌ وتبجيلٌ لما فيهِ اما تعظيمهُ

١) يريد انّ ابن الله الذي هو اله قائم بذاتهِ منذ الازل انّما ظهر في الزمان في طبيعتنا البشريّة بلا اضطرار انّما حملهُ على ذلك جودهُ وكرمهُ كما انهُ خلق العالم جودًا وكرمًا غير مضطرّ الى خلقهِ

٢) ان لفظة الجوهر هنا بمعنى الطبيعة . والجوهران لاهوت المسيح وناسوتهُ

للكتاب فلاتحاد لفظ مرسله به من غير مفارقة للعقل الوالد للفظ

الباب الحادي والعشرون

في قول الفلاسفة ان الباري علّة العالم

اذ قد اوضحنا ما قصدنا بيانهُ واوردنا ما لا يُدفع برهانهُ ها نحن نورد كلاماً (١ يسيرًا في قول الفلاسفة ان الباري تعالى علة العلل . ونقول انهم لم يريدوا بذلك انهُ علّة للعالم . لانهم قالوا ان العلة ما اوجبت حكماً ما من غير ان يكون لها في ذلك الحكم فعلٌ ارادي والحكمُ مقتضٍ للعلة وموجبها ولذلك وجب ان يكون العالم قديمًا . لكنّا قد اثبتنا من دليل العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالم نفسه انهُ محدث مركّب من جواهر متباينة وليس يدلُّ العقل على ان يكون المركّب والمختلف الانواع والجواهر قديمًا بقدم (الباري) الواحد البسيط الغير المركّب . واذ قد اتضح لنا ان ليس العالم معلولًا قديمًا بقدم العلة الاولى بقي ان نبيّن ما المعلول الذي هو قديم بقدم هذه العلة . فنقول انهُ النطق والحياة الذي ليس للباري فيهما فعل ارادي واما العالم فالباري تعالى هو علّتهُ الفاعلة والصانعة لا علتهُ الجوهريّة

الباب الثاني والعشرون

في البعث والنشور بعد الاضمحلال والدثور

اذ قد بيّنّا بدلائل عقليّة وبراهين منطقيّة واجوبة فلسفيّة وجود الباري تعالى ووحدانيّتهُ وقِدَمهُ وبقيّة ما تقدّم ذكره بقي ان نورد كلاماً يسيرًا مقنعًا ان شاء الله تعالى في البعث والنشور والمجازاة مقابل الافعال (٢ الصالحة والمكافأة بازاء الافعال الطالحة . فنقول (انهُ) لمّا كان سائر الناس منهم صالح ومنهم طالح ورأينا ان ليس كل الصالحين مستقيمي الاحوال والطالحين معزّري الامور وليس كل جماعة الاخيار معزّري الاحوال وسائر الاشرار مستقيمي الامور . بل نرى صالحًا مستقيمة اموره وطالحًا معزّرة احوالهُ وصالحًا معزّرة اموره وطالحًا مستقيمة اموره فعلمنا ان الله تعالى فعل ذلك بحكمته لانهُ لو كان سائر الاخيار امورهم جيدة وجماعة الاشرار احوالهم رديئة لقال الناس ان هذه الدار دار المكافأة والمجازاة وليس هناك ما يُرتجى ولا ما يُتّقى وليس بعد الاضمحلال والدثور بعثٌ ونشور ولا مكافأة ولا مجازاة . ولو ان سائر الاشرار رائجة امورهم

١) ويروى : برهانًا ٢) ويروى : الاعمال

السيد المفضال فلابيانوس كنوري مطران حمص وحماة

مستقيمة احوالهم وكافة الاخيار معزَّزة امورهم لصار الناس اجمعون اشرارًا رغبةً في العاجل لقلَّة يقينهم في الآجل. بل ترك الله الامور على هذا النظام الحسن لنستدلَّ ان هناك إلهًا قادرًا يرزق من يشاء (ويمنع من يشاء) وان ذلك سياسة جليلة وتدبير فاخر وان ليس هذا العالم عالمَ المكافأة والمجازاة بل عالم المكافأة والمجازاة غير هذا. ولو لم يكن ذلك كذلك لكان الاله الموجود (الموحَّد جوهره المثلَّثة اقانيمه) القديم المحدث للعالم لا لحاجة به اليه بل جودًا وتفضلًا وانعامًا على الانسان غيرَ عادل وحاشا لعلوِّه من ذلك. بل الامور نفسها والعقل يدلُّ على عدله وانصافه وانهُ لا يهمل صغيرةً وان لطفت ولا يتغافل عن كبيرة وان عظمت ولذلك لم يترك الانسان ان يتهوَّر في هوَّة الكفر والطغيان فيقول: كيف يمكن ان يعود الانسان وقد صار ترابًا وتجزَّأ اجزاء مفترقة وصار في حواصل الطيور وبطون الحيتان. بل جعل لذلك دلائل لا يبعدها العقل وصيَّر النخلة وعظمها مع سائر الاشجار وكبرها من نواة لا قَدْر لها. وجعل ابتداء الانسان وعظم جسمه وتميُّزه وعقلهُ ونطقهُ مع نظره وسمعه من نطفة لا بزر لها. ودودة القز المتقلِّبة من حال الى حال الى ان تصير طائرًا متحركًا من بزرة دنيَّة في لطفها. وشجرة القنَّب والحردل من حبَّة لا عظم لها لكي اذا رأى الانسان هذه الامور وما شاكلها ونظر الى صنعة البارئ نظرًا مستقيمًا علم انَّ القادر لا يعزب عنهُ شيء وان عظم عندنا وانَّ إعادة الموجود على الصانع بعد انحطامه اسهل من اظهاره من العدم الى الوجود

فان قال قائل فلِمَ جعل الله بعض الحيوان آكلًا لبعضه وجعل بعضهُ دون بعض وبعضهُ ممقوتًا وبعضهُ محبوبًا والناس ايضًا واحدًا فقيرًا وآخر غنيًّا وآخر فرحًا وآخر حزينًا. قلنا انهُ فعل ذلك بحكمة لانهُ جعل الحيوان الصامت صورًا مختلفة وانواع متباينة وجعل منهُ عدوًّا للانسان ومنهُ ما يُستعان بهِ ويُنتفع ومنهُ ما يكون داء ومنهُ دواء ليتعظ بذلك الانسان ويعلم فضل البارئ تعالى عليهِ واحسانهُ اليه [وانهُ ميَّزهُ على سائر الحيوانات والمخلوقات كلها بالعقل والنطق] ليكون مقبلًا على فعل الصلاح الذي ابتدأهُ شاكرًا لله ومعرضًا عمَّا سواهُ. فاما الحيوان الصامت فلم يجعل لهُ عودة ولا مكافأة بل جعلهُ مثل الحشيش الذي لا يُتقى وطئهُ ولا يُخشى قطعهُ وحرقهُ. نعم وجعل ايضًا في الحشيش بعضًا يُجتلى ويختار وبعضًا يُطرح وهذه الامور وما شاكلها انما فعلها البارئ تعالى لتعلم ان لها

خالقًا او صانعًا او انها لم تصر هي من ذواتها . ومع هذا فقد نرى الفاخوري يصنع اوعية بعضها للهوان وبعضها للكرامة ولو كانت الاوعية التي كانت للكرامة تعقل وتنطق لكانت شكرت الفاخوري على ما اسداهُ اليها من الجميل وعلى ما فضَّلها به على غيرها . فاذا كان ذلك كذلك أفيجوز ان نقول نحن الناطقون الذين قد فضَّلنا الباري تعالى وهو المسلط الحكيم القادر على سائر خلقه : لمَ وكيف وكيت وكيت ؟ كلاَّ بل نعترف باحسانه الينا وفضله علينا ونفعل ما يشهد العقل بانهُ يرضيه ونتجنَّب ما يسخطهُ . وان كان لا يصل اليه من الجميل الذي يفعلهُ الانسان نفعٌ ولا ينالهُ من القبيح الذي يفعلهُ ضررٌ . لكنَّ طاعة الرئيس نبيلة واتباع اوامر المولى جليلة . ولو كان الباري تعالى اذ لا يصل اليه منفعة من طاعة المطيع ولا ضرر من معصية العاصي لا يعاقب على ذلك ولا يُثيب (وحاشا لعلوّه وجلاله) لكان كصنم حجري موضوع في زاوية لا يكرم مكرمهُ ولا يهين مهينهُ . ومع هذا كله فلو جعل الله كل المخلوقات منهُ من سائر الحيوانات ما عَظُم منها وما صغر اناسًا عقلاء ناطقين وجعل الناس ايضًا اغنياء وسلاطين لبطل ترتيب العالم الحسن وفسد نظامهُ الجليل بل جعل بعضًا محتاجًا الى بعض وبعضًا منتفعًا ببعض لتعمر هذه الدار وتعرف قدرتهُ وسلطتهُ وليكون ذلك الغني يحسن الى المسكين فيُثاب بالنعيم في الفردوس الباقي مضافًا الى ما أعطيه من الغنى الفاني وليشكر ذلك المسكين الله على ما هو عليه من الحاجة فيثاب ايضًا بنعيم الآخرة الذي ليس لهُ انتهاء . اذ ليس ينتفع الغني بغناهُ الَّا بما عساه يفعلهُ من الجميل الذي تقدَّم ذكرهُ الذي ابتداؤهُ الشكر لله ولا ينظر الفقير بفقره الَّا بما لعلَّهُ يسديه الى ذاته من القبيح الذي اعظمهُ التسخطُ وقلة الشكر اذ قد جعل الباري تعالى الموت غاية الفريقين

ولربَّ قائل يقول ان الانسان انما هو النفس الحيَّة العاقلة الناطقة واما الجسم انما هو الآلة كالاداة للصانع لاننا قد نرى الجسد اذا فارقتهُ النفس يبقى طريحًا لا حراك لهُ ولا فعل لهُ فالعقاب اذًا والثواب يجب ان يكون للنفس لا للجسد واذا كان ذلك كذلك فلا حاجة الى اعادة الجسم ولا الى نشوره . قلنا ان الباري تعالى لو فعل ذلك اعني عقابهُ وثوابهُ للنفس خلوًا من الجسد لكان ذلك غير عدل وحاشا لعلوّه وجلاله وعدله من هذا لان النفس لها ان تقول : انك يا رب انت خلقتني خلقًا لطيفًا وركبتني

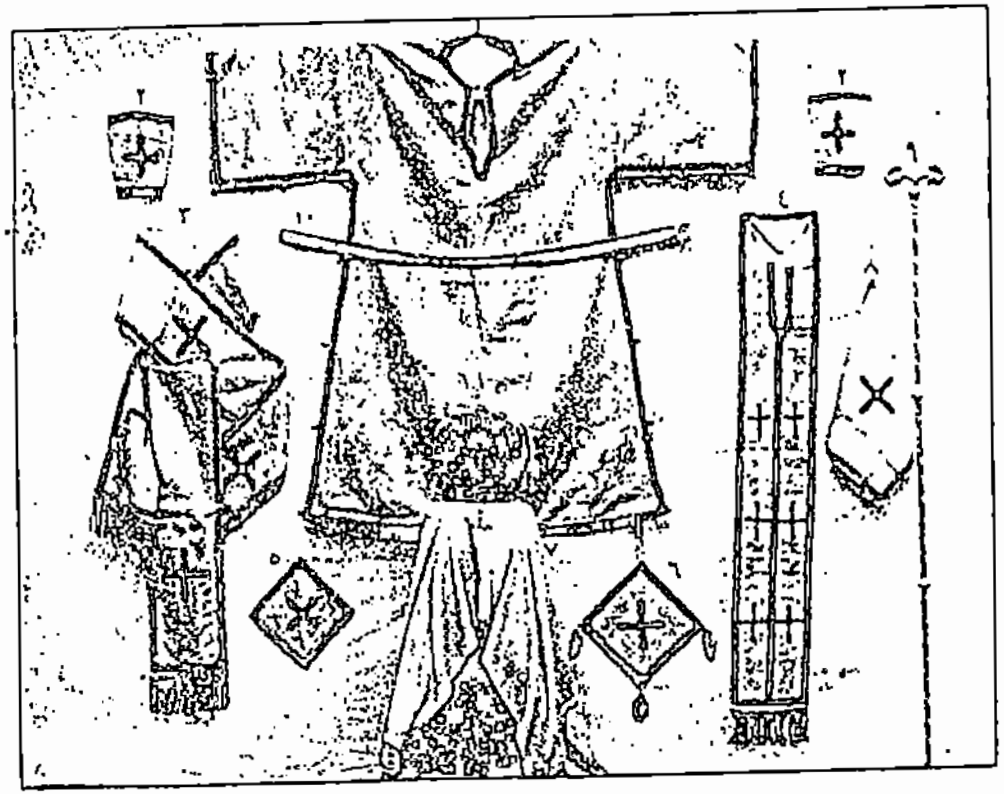

الحلة الحربية عند الروم الملكيين

١ المنبة او ساكوس ٢ الكمأن ٣ الدرع او الاورفوري ٤ البطرشيل ٥ غطاء الكتف (الكلسة)
٦ الحجر ٧ الشوربة ٨ ستر الموضوعات ٩ المكاز ١٠ الزنار ١١ التاج

بجسم كثيف ذي حواس خمس ذوق وسمع وبصر وشمّ ولمس وحركة وشهوة فجذبني الى هواهُ وغلبني على اختياري أفتُعاقبني دونهُ واجعل انا شريكان قد جنينا جناية او ضمنًا ضمانًا أفمن عدلك ان تطالب الواحد دون الاخر او تثنيهُ او تعاقبهُ. فمن هاهنا قلنا انهُ يجب لعدل البارئ تعالى ان تُنشر الاجسام (ولو لم تقل النفس ما تقدَّم ذكرهُ) لتأخذ كل نفس جسدها الخاص الذي معهُ وبهِ فعلت الجميل والقبيح ويكون الجزاء لجميعهما كما كان الفعل لكليهما. ويجب ايضًا ان تكون اجسام لطيفة لا كثيفة والَّا فاحتاجت الى طعام وشراب وكسوة وغير ذلك مما لا غنى لها عنهُ في عالم الكون والفساد بل انَّ القادر الذي لا يعزب عنهُ امر وان عظم ينقلها مع اعادتها من الكثيف الى اللطيف ويكون الصالح في لذَّة لا توصف ولا تدرك وافضلُ الامور واسناها قريب الى الله تعالى. واما الخاطئ فيكون في عذاب وعقاب من نار لا تطفأ ودود لا يموت وظلمة لا ضوء فيها واعظم من هذا البُعدُ من الله تعالى لانَّ الخاطئ لم يُخلق من الله خاطئًا ولا مجبورًا بل خيرًا مخيَّرًا فحاد باختيارهِ عن سبيل التقى وتهوَّر بارادتهِ في هواهُ الرديء ولذلك وجب عليهِ العقاب الذي ليس لهُ انتهاء. كما وجب للصالح السالك الطريق المستقيمة بعدل البارئ النياح(١ الذي ليس لهُ انتهاء. ولله الاب والابن والروح القدس الاله الموحَّد الذات المثلَّث الصفات يليق المجد والعزّ والشكر والحمد الآن وكلّ اوان والى ابد الدهور (تمَّت الرسالة)

(تنبيه) ورد في اخر نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ما نصُّهُ. «طُقَهُ بيده الفانية العبد الفقير سليمان صباغ من عرسوسة عكا الكاثوليكي مذهبًا الى اخيهِ (هنا بياض في الاصل) جرجي ابن شكر الله جزوة الاكرم القاطن يومئذٍ في دير سيدة النجاة كرسي بطركيَّة السريان وكان الفراغ منهُ في ١٨ ايَّار سنة ١٧٩٠»

درس العربية في اوربَّة

في القرن السادس عشر

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

نحن في ربيع سنة ١٥٣٠ هلمَّ بنا الى مدينة لوفان احدى حواضر بلجيكة. فاذا

١) النياح كلمة سريانية يراد بها راحة النفس

حالنا ربوعها وجدنا عددًا لا يُحصى من الطلبة يتزاحمون في ازقّتهـا وشوارعها وهم قد تقاطروا الى كليّتها الشهيرة من كل اصقاع اوربّة ليرضعوا افاويق علومهـا ويستقوا من مناهل آدابها. اما اساتذتها فقد نالوا من السمعـة الطيبة غايةً لا متجاوَزَ وراءها ومن المقام الرفيع ما ليس فوقهُ مرتقىً لهمّة

١

ولكن دَعْنـا نُفرد بالنظر احد هؤلاء المعلّمين وهو كهلٌ في كمال السن يناهز الخامسة والثلاثين من عمرهِ تلوح على وجههِ لوائح الذكاء. فلندخلنّ متصورةً اختصّها لنفسهِ ليتفرّغ فيها للدرس. ها هو جالس وعليهِ زيّ ارباب الدين في ذلك العصر. امامهُ كتاب ضخم تراهُ غائصًا في مطالعتهِ ومن وقت الى آخر يسطّر على حواشيهِ تعليقات وجداول وحروفًا غريبة الشكل لا شبه لها باللغات الاوربيّة

وان سألت عن اسم الرجل اجبناك بديهًا انهُ يُدعى نيقولا كليَنَرْد (١ استاذ اللغتين اليونانيّة والعبرانيّة في كليّة لوڤان. انكبَّ منذ نعومة اظفارهِ على درس هاتين اللغتـين مع اللاتينيّة فأصاب في جميعها قصبة السبق حتى تقدّم على اترابهِ وتولى التدريس في عنفوان شبابهِ. ثمَّ صنّف في اصول هذه اللغات كُتبًا عوّل عليها العلماء فجعلوها ركنًا للتعليم في المدارس الكليّة وبقيت بعد مؤلفها نحو مئة سنة يُرجع اليها دون غيرها. وكان كليَنَرْد فضـلًا عمَّا تقدّم دمث الاخلاق ليّن العريكة يجنح اليهِ كلُّ من يعرفهُ. بيد ان اصحابهُ كانوا يلومونهُ في امر واحد يعدُّونهُ فيهِ كسرٌ في عقلهِ وما ذلك الّا رغبة مفرطة في تعلُّم اللغة العربيّة (٢

والحق يقال ان درس العربيّة لم يكن بين اهل اوربّة من الامور السهلة في القرن السادس عشر. وكان من حاول ذلك اشبه بمن يتصـدّى اليوم لدرس لغة مجهولة لا تُعرف احرف هجائهـا كلغة الحثيين ولا نتردّد في ان نشبّههُ بشمپوليون اذ توخّى حلّ الرموز الهيروغليفيّة بعد ان اصاب كتابة « رشيد » المخطوطة بلغتين المصريّة واليونانيّة

---

١) كان اسمهُ الاصلي كليغرتس (Cleynarts) لكنَّهُ على مألوف عادة علماء زمانهِ كان جعل اسمهُ لاتينيًا فتسمّى كليغردوس (Clenardus) وبالفرنسيّة (Clénard)

٢) راجع كتاب المعلّم ڤكتور شوفين الذي عنوانهُ « Vie et travaux de N. Clénard » وسنعود الى ذكر هذا الكتاب في مقالتنا

أجل ان الاحبار الرومانيين كانوا قضوا منذ القرن الثالث عشر بان تُقام مدارس خصوصيَّة في كليَّات اوربَّة لتدريس اللغات الشرقيَّة لاسيما العربيَّة (١. غير ان هذه الاوامر لم يُنجزها اصحاب المدارس الَّا ردحةً من الدهر ثمَّ انتسخت فأُلغيت. ولمَّا كانت سنة ١٥١٩ استدعى ملك فرنسة فرنسيس الاوَّل من جنوة الاسقف العلامة بولس يُستنياني لتعليم اللغتين العبرانيَّة والعربيَّة في عاصمة مملكته لكن الاسقف المذكور لم يُقم في فرنسة الَّا سنتين ثمَّ عاد الى موطنه ولم يخلفهُ احد في مركزه

امَّا بقيَّة الدول الاوربيَّة فكان علم العربيَّة فيها مجهولًا في بدء القرن السادس عشر ولا نستثني من هذا الحكم بلاد اسبانيَّة نفسها فانهُ لم يبقَ فيها سوى آثار قليلة من لغةٍ كان علا منارها في عهد الخلافة الامويَّة نحوًا من سبعمائة سنة

وكان الاوربيون مع ذلك قد اودعوا خزائن كتبهم شيئًا من المخطوطات العربيَّة. وفي اوائل القرن السادس عشر ظهر في رومة اوَّل كتاب طُبع بهذه اللغة (راجع المشرق ٣: ٨٠). وفي سنة ١٥١٦ نُشر كتاب الزبور باربع لغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة واليونانيَّة مع ترجمة لاتينيَّة. وهو الكتاب الذي كان المعلم كليمنْد يقلِّب صفحاتهِ ويحاول حلَّ مغلَّقاتهِ لا دليل يُرشدهُ ولا استاذ يهديهِ كما انهُ لم يحصل على كتاب يعينهُ في ادراك مقصودهِ كمعجم او غراماطيق بل لم يكُ عارفًا باحرف الهجاء. ومع قلَّة هذه الوسائط داوم كليمنْد على عزمهِ اسابيع طويلة لم تأخذهُ في سبيل مسعاهُ لومة لائم ولم يثنهِ سأم ولا ملل

وكان كليمنْد يعرف انَّ بين العربيَّة والعبرانيَّة تشابهًا وان اللغتين ترجعان الى اصل واحد فاتخذ العبرانيَّة كوسيلة لبلوغ غايتهِ. واوَّل ما استدلَّ عليهِ ان قراءة العربية من اليمين الى الشمال كالعبرانية. ثمَّ جعل يقابل بين حروف اللغتين لعلهُ يجد بينهما بعض الموافقة في الشكل ويستخلص بذلك حروف الهجاء العربيَّة. فاختار لهذه المقابلة المزمور ٨٢ الذي تعدَّدت فيهِ الاعلام رجاء ان يلقى هذه الاسماء في العربية على صورة لا تختلف

١) قد بيَّن المسيو شوفين في الكتاب الذي نوَّهنا بهِ (ص ١٣) ما للاحبار الرومانيين من المساعي المشكورة في ترويج اللغات الشرقيَّة. ساعدهم في ذلك الآباء الدومينيكيون. ولولا خوف الاطالة لاتممنا في بيان ذلك. ولعلَّنا نعود اليهِ مرة اخرى. اما اللغة السريانية فلم تنتشر في اوربَّة الَّا بعد العلماء الموارنة في أواخر القرن السادس عشر

عن العبرانيَّة فلم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ حتى ميَّز اربعة احرف من الابجديَّة العربيَّة وهي الصاد والميم واللام والطاء.

فكان اكتشافهُ هذا وسيلة لمواصلة بحثهِ فجعل يدرس المزمور آيةً فآية ويقابل بين الفاظها الاولى والاخيرة في العبرانيَّة وأطراف الآيات نفسها في العربية فتوصَّل الى معرفة الحروف الهجائية الَّا بعضًا منها كالذال والضاد ممَّا لم يجد لهُ في العبرانية شبيهًا. فاجَّل البحث عن ذلك مؤمِّلًا ان يفكَّ أربتها في فرصة اخرى

ومن طرائقهِ لتعيين بعض الحروف انهُ كان يأخذ الفاظًا عبرانيَّة ثلاثيَّة كان يعرف حرفين منها في العربيَّة ويجهل الثالث فيقابل بين الفاظٍ من اللغتين يقع فيها الحرف المجهول في بدء الكلمة وفي وسطها وآخرها ولا يكفُّ عن المقابلة حتى يتبيَّن الحرفَ المجهول. وعلى هذا المنوال استدلَّ على حرف السين في « سلام » و « لسان » و « نفس »

بيد انَّ معرفة كليزد لحروف الهجاء لم تكن لترضيهُ. بل شرع يبحث عن قواعد اللغة العربيَّة مستندًا الى العبرانيَّة فبلغ بهِ ذكاء فهمهِ الى اصطناع جدول للضمائر مع ما تيسَّر لهُ من تصريف الافعال

وممَّا كان يشوِّشهُ في درسهِ ويثبِّطهُ في ابحاثهِ الحركاتُ العربيَّة فلم يعرف باي حركة يُشكل الكلمات وكيف يضبطها. فتلافيًا لهذا الخلل اتخذ الضوابط العبرانيَّة كقاعدةٍ لضبط الألفاظ العربيَّة. وكثيرًا ما كان يكتفي بالنظر الى تركيب الكلمة ضاربًا الصفح عن حركاتها على مثال الاخرس الذي يدرك معنى الشيء بمجرَّد نظرهِ اليهِ ولو لم يعرف النطق بهِ

وبعد ان صار لكليزد بعض الإلمام بصرف العربية ونحوها باشر تصنيف معجم عربي للالفاظ التي وجدها في كتاب الزبور الالهي وابتدأ بالمزمور المئة والثامن عشر لتكرُّر الالفاظ عينها في هيئات متعدِّدة من الإعراب وهي واردة تارةً في المفرد واخرى في الجمع فعدا بهِ ذلك الى درس الجموع العربيَّة غير انهُ كاد يغرق فيها لكثرة ما وجد من الصيغ في الجموع المكسَّرة. ومع ذلك لم ينفك عن المثابرة في درس العربية بزيد النشاط فاصبح هذا العمل يستغرق كل قواهُ ويلهيهِ عن كل شيء سواهُ وكان يقول عن نفسهِ انَّ العربيَّة استغزَّتهُ فعشقها عشق ذي الهيام (١. ولعمر الحق انَّ من اعتبر ما

(١) راجع مراسلات كليزد

استغرغهُ هذا الرجل العظيم من المجهود في سبيل مبتغاه اخذهُ العجب العجاب من شدَّة حزمهِ وقوَّة ارادتهِ وجعلهُ في مصفّ مشاهير الرجال الذين بلغوا بذكائهم الى الاكتشافات الجليلة كشمبوليون وغيرهِ بيد ان اشغال المعلّم البلجكيّ بقيت محصورةً في فناء دارهِ ولذلك لم ينل صاحبها من الشهرة ما نالهُ عالِمُ العاديات المصريَّة

٢

هذا ولم يجتزِ كلينَرد بان اكتشف حروف الهجاء واطَّلع على مبادئ اللغة وصنَّف معجم الفاظها بل اخذ يسعى في أن يجد لهُ معلّماً يزيل مشاكلهُ ويرشدهُ الى معرفة كلّ اصول العربيَّة وغوامضها. فسمع احد تلامذتهِ يقول ان كُلّيَّة مدينة سلمنكا من اعمال اسبانية تدرّس هذه اللغة. فلم يقرّ قرارٌ لكلينرد حتى استعفى عن منصبهِ في كلية لوفان ورحل الى اسبانية سنة ١٥٣١

فدخل سلمنكا ناشدًا ضالَّتهُ. لكنهُ عرف بعد البحث انَّ العربيَّة لم تُعلَّم في كلّيَّة هذه المدينة وانَّما يوجد في البلدة رجل اسمهُ نونيوس يعرف هذه اللغة. فاسرع الاستاذ البلجكي الى بيتهِ وعلم منهُ انهُ كان اخذ العربية عن فخَّارٍ عربي الاصل من اشبيلية لكنهُ منذ امد مديد هجر درسها. ثم اشار الى زائرهِ ان يعرض عن عزمهِ لما في العربية من المبهمات والمصاعب. غير ان كلينرد لم يرضَ بقولهِ ولم يلحّ على نونيوس حتى اقنعهُ بان يتولى تدريسهُ. فاجَّلهُ نونيوس الى اليوم التالي ليُعدَّ كتبهُ ودفاترهُ

فلمَّا كان صباح يوم الغد بكَّر كلينرد استاذَهُ الجديد وسمع منهُ اوَّل امثولة عربيَّة حضرها بما لا يمكن وصفهُ من الرغبة (التتمَّة للعدد التالي)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يدور حول الاسوار متفقّدًا هجم عليهِ واحد من الخفر كان ساهرًا في قمة برج متنحٍ وطعنهُ بخنجرهِ طعنةً شديدة ولولا الدرع القويَّة

التي كان يلبسها تحت ثوبهِ لاختطف روحهُ غير مأسوف عليهِ . ولمَّا سُئل الجندي عن السبب اعترف بانهُ رجل فداوي(١ ارسلهُ امير مصياد لينتقم من جوسلين على المعاملات السيئة التي اتزلها هذا الاخير بالاب يوحنَّا الرجل البار

ثم انَّ الجندي قال لجوسلين: انك تستطيع ان تقتلني ولكن ينبغي ان تعلم ان وراني رجالًا يأخذون بثأري فانَّ عشرة من رفقائي قد اقسموا بكل محرَّجة ان يحملوا رأسك الى قصر مصياد . واعلم اني لست آسفًا الَّا على شيء واحدٍ اعني عجز ذراعي عن اغماد الخنجر في صدرك . على اني اذا كنت لم أُصب في مهمَّتي توفيقًا فلا بدَّ ان يأتي غيري فينجح في ما قصَّرتْ عنهُ يدي

وكان جوسلين يعرف بطش الاسماعيليَّة وسطوتهم ويدري انهم اهل افعالٍ اكثر مما هم اهلُ كلام . فاشتدَّ خوفهُ على نفسهِ حتى كانت تعرض لهُ من جرَّاء ذلك عوارض من الغضب اشبه بعوارض الجنون تحملهُ على إصدار أوامر متناقضة ادَّت الى ذهاب الصبر من صدور الذين استمرُّوا حتى هذا الوقت أُمناء لهُ . فكرهوه كل الكره واصبحوا ولا همَّ لتلك الزمرة التي جمعتها جامعة الاثم والجريمة في قصر القليعة الَّا البحث عن وسائل الفرار والنجاة من هذا الطاغية

وشعر جوسلين بذلك فجزع واضطرب ورأى ان لا واسطة تردُّهم عن الانتقاض عليهِ الَّا الذهب فبذلهُ لهم وافرًا . ولا ريب انهُ لم يأتِ بهِ من دير حصن سليمان لان السلَّابين الذين اغراهم بنهب الدير المذكور وحريقهِ لم يجدوا فيهِ غير كنوز ادبيَّة فما اكترثوا بها . وعلى كل حال لو ان صاحب القليعة ملك خزائن قارون لما ابقى عليها زمانًا طويلًا لانهُ كما عرفتَ كان رجلًا مسرفًا خليعًا

١٥

وفي ذات مساء حضر الى القصر رجل بالي الثياب وسأل ان يبيت فيهِ ليلتهُ فانزلوهُ في احد الاقبية . ولمَّا طلع الصباح صرَّح بانهُ آتٍ من بشرّاي وان لديهِ امورًا ذات بال يريد ان يطلع صاحب القليعة عليها . فما كاد يعرف بهِ جوسلين حتى استدعاهُ اليهِ في الحال وطالت المواجهة بينهما كثيرًا ولم يُعرف بالتحقيق شيء من امرها . ولكن الرجل الغريب اخذ من بعدها يتردَّد على القصر بدالَّة وحريَّة وكان اذا وافى تُفتح لهُ

(١ راجع المجلَّة الاسيويَّة

الابواب بمجرّد اشارة خفيفة ويُنزّل الجسر الثقّال لاجل مروره لانهُ كان يعرف الكلمة السريّة التي لا يدري بها غير الحفر . وحاصل القول انهُ في قليل من الزمان اغتنم صداقة جوسلين وكل امياله حتى كان يظهر من امر هذا الاخير انّهُ لا يستطيع ان يستغني عنهُ

على انّ إقبال صاحب القصر على الغريب لم ينفخ فيهِ روح الكبرياء بل كان دائماً يؤانس الكل ويلاطفهم محافظاً على حالة الابتذال التي كانت لهُ يوم وصولهِ الى القليعة ولم يكن احد يعرف بالتأكيد هويّة الرجل المذكور لانهُ كان اذا سُئل عن اصلهِ امتنع عن الجواب او أجاب بما لا يُستفاد منهُ شيء . واما جنود الحامية فكانوا يدعونهُ باليهودي نظرًا لذؤابتين من الشعر كانتا تنوسانِ دائماً حول صدغيهِ ثم نظرًا لانفهِ الكبير الذي هو من مميّزات الجيل اليهودي . وكان كسائر الاسرائيليين بني جنسهِ عارفاً بطرق المكاسب خبيرًا باستجرار الارباح يعضدهُ على ذلك ضمير واسع لا يعرض لهُ ادنى ارتباك في انتخاب الوسائل المؤدية الى المغانم . وكان من زمان مديد قد رأى من جوسلين قريحةً تناسبهُ فوعد نفسهُ بان يحتال عليها حتى لا يفوتهُ شيء من دسمها

وكان اليهودي نثنائيل كما لقّبهُ الجنود قد صرّح من اول مواجهة لصاحب قصر القليعة بانهُ آتٍ يعرض عليهِ خدماتهِ وانهُ عرف بارتباكهِ في شؤونهِ الماليّة فجاءهُ بالوسائل الكافلة بخروجهِ من الضيق

اما جوسلين فاخذهُ العجب من كرمهِ لاسيما وان الغريب احضر اليهِ في بادئ الامر من غير تردُّد كل ما يحتاج اليهِ من المبالغ الطائلة لراتب الحامية وقدّم لهُ ايضاً هدايا كثيرة لكي يستعطف بها صداقة الرؤساء الذين في جواره او يكتسب على الاقل حيادتهم . على ان كلّ ما تظاهر بهِ من النزاهة لم يكن مصدرهُ القلب لانهُ كان كلما اعطاهُ مبلغاً من المال لا يذهل عن تقييدهِ في دفتر معهُ

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يطالب منهُ دفعةً خلع نثنائيل ثوب الاحترام الذي قد طالما حفَّ بهِ صاحب القليعة وافهمهُ بان قد حان الوقت لعمل الحساب . وفي الوقت نفسهِ اخرج من جيبهِ دفترًا وسخاً ودفعهُ الى جوسلين الذي اخذ يطالع بتمعُّن قائمة المبالغ التي استقرضها والى جانبها قيمة الفوائد الفاحشة التي ارتأى اليهودي إضافتها فوقف مبهوتاً وصرخ قائلاً :

لم يجرِ الكلام بيننا على شيء من هذا

— وهل ظننتَ انني اتسبَّب لنفسي بالخراب وضياع المال لاجل منفعتك ؟ وهل ذهلتَ اسناري العديدة الى بشراي وجبيل حتى أُطلعك على ما هناك من الحوادث ؟ واذا كنتَ لم تؤخذ على حين غفلة فذلك بفضل ما نقلتُهُ اليك من المعلومات التي توصلتُ اليها في الغالب بتعريض حياتي لاعظم الاخطار وانت تعلم ان اللبنانيين يعاملون اهل ديني بالقسوة . . . . !

— اذا كنتُ قد ارتكبتُ غلطاً فاعظم غلطي هو وثوقي بك . اما اليوم فقد تقطَّع كل ما بيننا من العلائق ومن الآن فصاعداً كفَّ عن أداء خدماتك اليَّ . واما ما ذكرتَ من اسفارك لاجل منفعتي فهذا هو الكذب بعينه لانك ما نقلت قدماً الَّا لاجل صوالحك الخصوصية . اما المعلومات التي ذكرتها فكنتُ في غنًى عنها لاني اعرف الامير رزق الله حق معرفة وأعلم ان السيف سيقضي اخيراً بيني وبينهُ . . .

ورأى نقولا ان الحديث زاغ عن النقطة التي يرومها فعاد الى نغمته الاحترامية قائلاً :

الحقَّ أقول لحضرتك انهُ لم يخطر على بالي قط مخالفتك وازعاجك . . . ولكن اسألك ان تأذن لي بكلمة أقولها ايضاً . هل نسيت المذاكرات التي كلَّفتني باجرائها باسمك مع متاولة بلاد بعلبك ولبنان تحريضاً لهم على مهاجمة الامير رزق الله ؟ ولم تزل بيدي الرسائل التي سلَّمتها اليَّ لأُطلعهم عليها وهي مهورة بخاتمك وتوقيعك وكلها محفوظة عندي بمزيد الحرص في مدينة طرابلس . ولا يخفاك اني لو اردت ضرراً بك لدفعتها الى المقدم رزق الله الذي يتخذها حجَّةً عليك قوية . غير اني لا اظن ان الاحوال توصلنا الى هذا الحد . فقط ارجو من سيدي ان يتذكر دائماً انهُ لولا خدماتي النافعة لكان ملقىً اليوم في حبس بشرَّاي

وكان جوسلين ضابطاً حدَّتهُ حتى ذاك الوقت غير ان هذه الكلمات الاخيرة اسخطتهُ جداً فقال :

ولكنك لست غير مُرابٍ مسكين . والظاهر انك تنسى انك في قبضتي وتحت حوزتي واستطيع ان آمر بتعذيبك حتى تذوق جزاء تهوُّرك . واعلم ان عندي من الوسائل ما يقطع لسانك قطعاً اذا هممَ بكلمة خارجة عن حدود الرصانة

— لا أجهل ذلك. بل أعلم انك ايضاً تستطيع ان تحتزّ رأسي او بالحري رأس المرابي كما تشاء ان تدعوني. ولكني اعلم من جهة ثانية انّ هـذا التصرّف لا يملأ صناديقك فضةً وان بعض رجالك الناقمين عليك لا يلبث ان يحمل رأسك اماً الى امير مصياد واما الى المقدّم رزق الله استغفاراً عن معصيته. وفي هذه الليلة نفسها بينما كنتُ أدور على الاسوار سمعت حديثاً بين الخفر اطلعني على أمور كثيرة اخصُّها انهم صاروا يكرهون الاقامة في القليعة. واذا جاء امير بشرّاي لمهاجمتك فالافضل لك ان لا تتكل الّا على نفسك. واظن ايضاً ان الفداوي الذي اوشك ان يفتـك بك تلك المرّة لهُ أصحاب غيرهُ ايضاً من بني جلدته ناوون عليك نيّة خبيثة

على ان هذه الكلمات الاخيرة نبّهت جوسلين الى قطاعة مركزه وبدّدت عن عقله ما كان عليه من الغرور وكسرت حدّتهُ في الحال فلطّف نغمتـهُ وبدلاً من التطرسة والكبرياء انقلب يتوسّل الى اليهودي بعد ان كان يتهدّدهُ ثم قال:

لا اقوى على ان أسدّد دفعـةً واحدة هذه المبالغ الكبيرة مع ما يلحقها من الفائدة الفاحشة

— اني اعلم هذا ايضاً ولذلك لا اطلب منك فضةً. فقط اريد منك شيئاً زهيداً وهو ان تضع توقيعك على هذه الورقة

قال المرابي هذا الكلام وقدّم ورقة لجوسلين وكانت تتضمّن تخليهُ بصورة شرعيّة عن كل الاراضي التي كانت تخصّ قبلاً دير حصن سليمان

فوقّع جوسلين على أسفل الصك بخاتمه وهو يعد نفسهُ في سرّه بانهُ سيسترجعهُ يوماً ما من اليهودي او يعمل على ابطاله بطريقة أخرى. وكان يظن انّ التوقيع لا يقيده بشيء كما انّهُ لم يتقيّد قبلاً بشيء مما حلفهُ من الأقسام. ولا يخفى انّ احد السياسيين كان يقول قبـلاً: « انّ النطق أعطي للانسان حتى يكتم افكارهُ » اماً جوسلين فزاد عليه راغباً في ان تقوم لهُ الكتابة ايضاً بهذه الخدمة التي ترضيه

اماً اليهودي فلما فاز بمرامه انحنى أمام جوسلين قائلاً: ان الحساب الجيد هو من دلائل الصداقة المخلصة وعليه فاني برغبة عظيمة اشتهي مواصلة الخدم التي قمت بها حتى الان وتأييداً لذلك ها انا ذاهب في هذا المساء نفسهِ الى طرابلس (١ لآتي بما يلزم من المال

١) من اليهود المقيمين في طرابلس راجع البلاذري (ص ٢٦٧)

لدفع المتأخر من رواتب الحامية . وفي املي ايضاً اني أتمكّن من الاطلاع على حركات المقدم رزق الله

ثم انهُ حنى رأسهُ احتراماً وسافر . اما جوسلين فلثما خلا الى نفسهِ فهم انهُ ارتكب غلطاً جسيماً بسماحهِ لليهودي في الذهاب . وكان المذكور قد بعد عن القلعة ولم يعد في الوسع ادراكهُ

١٦

وكانت الهاجرة قد قربت فاشتدَّت حرارة الشمس وارسلت أشعتها المحرقة على تلك الصخور الرماديَّة التي فوقها انتصب قصر القلعة وكان جوسلين قد خلع لأمَّتهُ ليجلس على الطعام فوافاهُ العيَّن اي الرقيب المكلَّف برصد الحوادث من قمة برج القلعة وأعلمهُ انهُ شاهد خيَّالاً مقبلاً على فرس صغير اسود اللون وهو يرتقي بخلوٍ بال في الشِعب المؤدي الى الجسر النقَّال ويظهر من هيأة ملابسهِ انهُ لبناني ولكنهُ قصير القامة مشوَّه الخلقة والبادي من حالهِ يدلُّ على انهُ أعزلُ لا يحمل سلاحاً . فامرهُ جوسلين باتزال الجسر وإدخال الرجل المجهول

على ان الخيال ما كاد يترجَّل في فناء القصر حتى صرَّح بانهُ آتٍ من قِبل الامير رزق الله وطلب في الحال مواجهة صاحب القلعة فدخل الحرس واعلموا جوسلين برغبتهِ فبادر اليهِ خلافاً لعاداتهِ السابقة لان الاحوال كانت قد حالت والازمنة قد تغيَّرت وما عاد يمكنهُ ان يتوعَّد الزائرين الذين يزعجونهُ باطلاق كلابهِ عليهم لتنهشهم . ولم يكتفِ بذلك بل نزل ايضاً الى فناء القصر لمقابلة الخيَّال المجهول الذي طلب مخاطبتهُ في شؤون هامَّة مستعجلة

ولا حاجة الى ان نبيّن للقارئ من هو هذا الرجل المجهول لانهُ علم من سياق الحديث انهُ مالك حاجب رزق الله في بشراي ومُرسَلهُ الى جوسلين . فلما اجتمع بصاحب القلعة صرَّح لهُ بالقابهِ ووظائفهِ عند مقدَّم بشراي ثم دفع اليهِ ورقة على وجهها خاتم الامير رزق الله وشعارهُ فتناولها جوسلين وبعد ان أجال النظر فيها ظهرت على محياه ابتسامة ما كان امرَّها ثم التفت الى الجنود المحيطين بهِ وقال بتهكُّم :

ان امير بشراي مولانا وسيدنا المرهوب ما زال يفتكر بنا وقد أراد ان يولينا شرفاً وسيماً فدعانا الى مواجهتهِ في محل إقامتهِ ببلبتان

ثم التفت الى مالك خاصّةً وقال: تقول لهُ اننا سنلبّي هذه الدعوة في اليوم والساعة اللذين نختارهما نحن. هذا هو الجواب الذي تستطيع ان تردّهُ لمن ارسلك الينا

(ستأتي البقيّة)

نبذة تاريخية في الايقونة العجائبية

الواقع عيدها في ٢٧ ت٢

لاحد اساتذة مدرسة عين طورا الكبرى

رغب الينا بعض المستفيدين ان نلخّص لهم خبر الايقونة العجائبيّة الواقع تذكارها في ٢٧ من الشهر الجاري فكتبنا هذه العجالة اجابةً الى سؤلهم

شاءت البتول الطاهرة في العُشر الثالث من القرن المتصرم ان تعطي للعالم المسيحي عربونًا جديدًا عن محبّتها الوالديّة فانتخبت لذلك راهبة مبتدئة من جمعيّة اخوات المحبة لتتحف بواسطتها الجنس البشري بايقونتها العجائبيّة. وهذه الراهبة هي كاترين لابوره (Laboure). ولدت سنة ١٨٠٦ في قرية اسمها فان لي موتيه (Fain-les-Moutiers) في ٣ من شهر ايار وتوفيت في باريس في ٣١ ك ١ سنة ١٨٧٦ برائحة القداسة بعد ان قضت نحوًا من ٤٦ سنة في جمعيّة راهبات المحبة. ففي سنة ١٨٣٠ كانت الاخت كاترين المذكورة في دير الابتداء المختص براهبات المحبة في باريس(١. وفي احدى الليالي بينما كانت راقدة مع رفيقاتها في النام العمومي سمعت صوتًا يناديها باسمها ثلاثًا فتاقت ونظرت بالقرب من فراشها صبيًا لا يتجاوز الرابعة او الخامسة من عمره لابسًا ثوبًا ابيض ووجههُ يلمع كالشمس. فاضطربت بادئ الامر لكنها فكرت وعلمت انّهُ رسول سماوي. فقال لها: « تعالي الى الكنيسة ان العذراء مريم تنتظرك ». فخافت كاترين ان يدري بها احد. فاجابها: « لا تخافي ان الساعة ١١٧ ليلًا والجميع راقدون وانا ارافقك فهلمّي مسرعةً دون خوف »

قامت لساعتها وتبعت قائدها الغريب وكانت أنوار ساطعة تنبعث منهُ الى كل

---

١) في الشارع المعروف بدي باك نمرة ١٤٠ (Rue du Bac, 140)

جهة. ولمَّا وصلا الكنيسة انفتح بابها بمجرَّد لمسهِ لهُ فاندهشت كاترين وزادت دهشتها عند ما دخلت الكنيسة ورأتها متشمشعة بانوار تخطف الابصار. فتقدمت وقلبها يخفق هيبةً ووقارًا وسارت مع رفيقها الى مائدة المناولة وهناك جثت على ركبتيها بإخبات وخشوع. امَّا هو فدخل المقدس ووقف على شمال المذبح وبعد هنيهة قال لها: ها العذراء القديسة مقبلة. فرفعت نظرها فرأت سيدة بهيَّة بديعة في الجمال لابسةً ثوبًا ابيض وفوقهُ منديل سماوي اللون. فركضت بدالَّة مقدسة وانطرحت على قدميها الطاهرتين فشعرت بتعزية وعذوبة لا يمكن للسان بشري وصفهما. وعند ذلك اخذت سلطانة السماء والارض تخاطب ابنتها بكلام ذاب لهُ قلبها خشوعًا وسلوانًا معلمةً اياها ما يجب عليها فعلهُ في المصائب والاكدار وامورًا أخرى كثيرة تتعلق بامر خلاصها. ثم اشارت بشمالها الطاهرة الى الهيكل الكبير قائلةً لها: « لا تنسي حين التجارب ان تأتي هنا لتبوحي باسرار قلبكِ وتنالي التعزية والقوَّة ». ثم اضافت قائلةً: « يا ابنتي انا اريد ان أعهد اليكِ امرًا مقبولًا لديَّ جدًّا وجزيل الفائدة للبشر واعلمي انكِ ستلاقين من اجلهِ مضادَّات كثيرة لكن سامنحكِ نعمةً لاتمامهِ فلا تخافي »

قالت هذا وتوارت عن نظرها تاركةً في قلبها اشهى والذّ تأثير. فقامت كاترين والتفتت فرأت الصبي واقفًا حيث كان قبلًا فقالت لهُ: « ذهبت السيدة ». ثم سارت وسار هو عن شمالها مرافقًا اياها الى مضجعها واختفى عن بصرها. وكانت الساعة الثانية بعد نصف الليل ولم تعد كاترين الى الرقاد بل صرفت بقيَّة ليلها بالصلاة مردِّدة في قلبها ما سمعتهُ من مريم البتول ولم يدرِ احد بشيء من ذلك

فهذه الرؤيا لم تكن الَّا تسهيلًا واستعدادًا للرؤيا الثانية كما سيأتي لان البتول لم تصرِّح بالامر الذي كانت تريد ان تفوِّضهُ الى الاخت كاترين بل اشارت اليهِ اشارةً كما مرَّ. ولمَّا كانت الساعة الخامسة والنصف افرنجيَّة مساء في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من السنة عينها اي سنة ١٨٣٠ ترآت مريم العذراء مرَّة ثانية للراهبة المتقدم ذكرها في الكنيسة ذاتها وظهرت لها بصورة عجيبة ملتحفة باطار من النور على شكل اهليلجي وكانت واقفةً على الكرة الارضية التي لم يكن يُرى منها سوى نصفها وهي متسربلة بثوب ابيض ناصع وفوقهُ رداء ازرق سمنجوني ساحقةً بقدميها البتولي رأس الحيَّة الجهنميَّة تنبعث من يديها الطاهرتين اشعَّة أنوار ابهى لمعانًا من

ضياء الشمس وهذه الاشعة كانت تنحدر الى الكرة التي كانت قائمة هي عليها

وبينما كانت الراهبة تتأمل في هذه الرؤيا التي اخذت بمجامع قلبها خشوعاً وعذوبةً سمعت صوتاً يقول لها: هذه الاشعة هي رمز للنعم الغزيرة التي تسكبها مريم على بني البشر. ثم رأت حول رسم البتول مكتوباً هذه الكلمات: « يا مريم البريئة من الخطيئة الاصليَّة صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك ». وبعد ذلك انقلبت الصورة وظهر على جهتها الثانية حرف M الذي هو اول حرف من اسم مريم الكريم وكان فوقهُ صليب وتحتهُ قلبان الواحد مكلَّل بالشوك والآخر مطعون بالحربة. وعندها سمعت صوتاً يقول لها: اضربي ايقونة على هذا الشكل وكل من يلبسها مغفَرةً تالياً الصلاة المكتوبة عليها بعبادة يحظى بحماية خصوصيَّة من لدن امّ الله. فقالت كاترين للبتول: يا سيدتي لا يصدقون قولي. فأجابتها سلطانة السماء قائلةً: لا تخافي يا ابنتي. نعم انكِ ستلاقين عوائق شتى كما قلت لكِ لكن تشجَّعي لكونك ستنالين نعمةً لتنتصري على كل ذلك. فاطيعي اذًا واخبري مرشد نفسك بما نظرتِ وسمعتِ. قالت هذا وتوارت عن نظرها

فقعلت كاترين كما امرتها البتول وضُربت الايقونة الكنسيَّة حسب تعليمات الراهبة المذكورة واثبتها اساقفة عديدون في ابرشيَّاتهم وما كادت تنتشر حتى اتت بآيات وعجائب لا تُعد ولا تحصى لا يسعنا ذكرها الآن بل نكتفي بذكر واحدة منها وهي ارتداد الفونس راتيسبون (Ratisbonne) اليهودي الى الدين الكاثوليكي بنوع عجيب سنة ١٨٤٢. فألفونس هذا كان من عائلة اسرائيليَّة شريفة من مدينة ستراسبرغ (Strasbourg) وكان قاصدًا البلاد المشرقيَّة للتجول فيها لكنهُ اراد ان يمرّ ببعض مدن ايطالية الاكثر شهرةً قبل اتمام مرغوبهِ هذا. فقادتهُ العناية الالهيَّة الى مدينة رومية وهناك تعرَّف بشاب كاثوليكي اسمهُ تاودور دي بوسيار (Th. de Bussière). ففي ذات يوم بينما كانا يتحادثان وقع بينهما جدال في امور الدين وكانت نهايتهُ اقناع الفونس بقبول ايقونة العذراء العجائبيَّة ولبسها في عنقهِ مع تلاوة الصلاة المكتوبة عليها. وبعد ذلك ببضعة ايَّام دخل الفونس بتدبير الهي كنيسة القديس اندراوس الموجودة في الشارع المعروف بدلي فراته (Delle-Frate) وبينما هو يتجوَّل فيها للتفرج توقَّف قليلًا امام هيكل القديس ميخائيل وهو لا يدري ما السبب واذا بمريم البتول قد تراءت لهُ بهيئة الايقونة العجائبيَّة التي كانت في عنقهِ. فخرَّ لساعتهِ ساجدًا وفتح عيني عقلهِ لنور الايمان الكاثوليكي القويم

وفي تلك الاثناء دخل صديقهُ تاودور دي بوسيار الكنيسة ووجد الفونس على تلك الحال وكانت الرؤيا قد توارت والدموع تتساقط بغزارة من عينيهِ. فالتفت الفونس نحو تاودور وقال لهُ : اشكرك يا صاح على ما تكرَّمتَ بهِ عليَّ فارجوك ان تدبرني لاني بعد الرؤيا التي نظرتُها الان صرت اريد ان اعتنق الدين المسيحي. ثم اخرج الايقونة التي كانت معهُ وبدأ يقبلها بدموع قائلًا: حقًّا ان الله صالحٌ وتعساء هم الذين لا يؤمنون بهِ. وبعد ذلك قصَّ على تاودور ما رأى فاخذهُ صديقهُ الى الاب ڤيلفور (Villefort) اليسوعي. فلمَّا علم هذا بامرهِ اقتبلهُ بكل حنان وعلَّمهُ قواعد الدين المسيحي وكان الفونس لا ينقطع عن تقبيل ايقونتهِ قائلًا : اني رأيتها. اني رأيتُها. كما هي في هذه الايقونة. وبعد ان تأهَّب التأهُّب الكامل اقتبل سرَّ العماد المقدس ثم تنازل البابا نفسهُ وقابلهُ مقابلةً خصوصية اظهر لهُ فيها كل حب وانعطاف. واثبتت الكنيسة بسلطتها صحَّة هذا الظهور العجيب وامر نيافة الكردينال باتريزي (Patrizzi) بطبع تفاصيل هذا الحادث ونشرها مع إقامة رسم يمثل هذا الظهور في الموضع عينهِ حيث تمَّ في كنيسة القديس اندراوس الآنفة الذكر. وكل سنة يُعيَّد لهذا التذكار باحتفال شائق يدوم ثلثة ايام

فبعد هذه الاعجوبة ومعجزاتٍ أُخر لا يُحصى عديدها اتى الله بها بواسطة هذه الايقونة كتبصير العميان وتطهير البرص وشفاء المقعدين وطرد الشياطين وارتداد الخطأة وشفاء جميع انواع الامراض الروحيَّة والجسديَّة تحركت الكنيسة المقدسة بالهام الروح القدس عروسها وعيَّنت لايقونة مريم عيدًا رسميًّا يُحتفل بهِ كل سنة في ٢٧ ت ٢ شكرًا لله ولمريم البتول على منحتها هذه. فاصدر البابا لاون الثالث عشر براءةً رسولية مؤرخة في ٢٣ تموز سنة ١٨٩٤ يقيم بها هذا العيد ويثبت الفرض والقداس المختصين بهِ مانحًا غفرانًا كاملًا لمن يعترف ويتناول ويزور احدى كنائس كهنة الرسالة او أخوات المحبَّة ويجيزًا للاساقفة والجمعيَّات الرهبانيَّة استعمالها يوم العيد المذكور بشرط ان يكونوا سبقوا والتمسوا ذلك من جمعيَّة الطقوس المقدَّسة. ثم في ٢ آذار سنة ١٨٩٧ اصدر قداستهُ براءةً ثانية بها يفوِّض الى نيافة الكردينال فرنسيس ريشار (Richard) رئيس اساقفة باريس تكليل تمثال الايقونة المتقدم ذكرها باسمهِ فتمَّت هذه الحفلة باحتفال شائق في ٢٦ تموز من تلك السنة في ختام الثمانية الايام التالية لعيد

القديس منصور دي بول (١) . وفي ١٢ ت ٢ من السنة عينها بناء على طلب الاب انطون فيات (Fiat) الرئيس العام على كهنة جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازريَّة وعلى اخوات المحبَّة تنازلت جمعية الطقوس المقدَّسة واثبتت صورة الايقونة العجائبيَّة ووصفها

المنار

نبذة للاب لويس دي انسلم اليسوعي

تعريفها اللغوي المنار في اللغة ومثلها المنائر جمع المنارة وهي موضع النور ايًّا كان وفي الاصطلاح تُطلق على أبراج ساحليَّة شاهقة البنيان يعلوها نور ساطع يهتدي به البحَّارون ليلًا فيتنحَّون عن الشواطئ لئلا تصدم سفنهم بصخورها فتتحطَّم . والعامَّة تدعو المنارة فناراً وهي لفظة اعجميَّة

تاريخها لا مشاحَّة في انَّ المنار ظهرت بعد ترقي فنّ الملاحة بزمن قليل . ومن البديه انَّ ارباب البحر الاولين منذ ركبوا السفن وخاضوا غمرات اليمّ لم يلبثوا ان يشعروا بحاجتهم الى المنار لترشدهم في سيرهم اذا ما خيَّم الظلام ومدَّ الليل رواقهُ وتدلَّهم على قربهم من الساحل . وعليهِ فلا بُدَّ من ان يكونوا أنشأوا لهم منار على نقطاتهم الخاصَّة في بعض الاماكن الخطرة او يكونوا عاهدوا في ذلك أصحاب البلاد التي اعتادوا المرور عليها في أسفارهم . اماً اذا راجعنا التواريخ القديمة فاننا لا نجد فيها أثرًا لهذه الابراج المنيرة قبل القرن التاسع قبل المسيح . واوَّل منارة ورد ذكرها في تآليف الاقدمين فنارة رأس سيجاي (Sigée) في آسية الصغرى بين بحر ايجاي والهلسبنت . وقد شيد اليونان بعد ذلك مناور عديدة منها مرسى البيره قرب اثينة ومراسي أخرى في جزائر الارخبيل

بيد انهُ قد اشتهر بين المناور القديمة برجٌ قد أطنب في ذكرهِ المؤرخون ونظموهُ

(١) ومنح غفراناً كاملًا لجميع المؤمنين الذين يلبسون الايقونة العجائبيَّة يمكنهم رجعهُ بالشروط اللازمة يوم قبولهم لها بحسب الرتبة المعيَّنة لذلك . وفي عيد الفصح وعيد الحبل بسيدتنا مريم العذراء بلا دنس وذلك ببراءة مؤرخة في ٣٠ ايلول سنة ١٨٩٥

في عجائب الدنيا السبع ألا وهي منارة الاسكندريَّة التي أفاض في وصفها العرب فتجاوزوا حدود المبالغة. وكانت هذه المنارة في جزيرة فاروس ومنها اشتقَّ الفرنج اسم المنارة في لغتهم (phare). امَّا صاحب هذه المنارة فقد اختلف فيهِ المؤلفون والارجح انهُ بطليموس المعروف بفيلادلفوس اي محب اخيهِ. شيَّدها لهُ مهندس اسمهُ سُسْتِرات وجعلها طبقات مخروطة على شكل الاهرام. وكانوا يشعلون في اعلاها وقودًا يُرى نورهُ على مسافة ٥٠ كيلومترًا. ويؤخذ من كلام المؤرخ بليني انَّ بطليموس أنفق عليها ما يساوي اليوم ٤ ملايين من الفرنكات. امَّا العرب فينسبون هذه المنارة الى الاسكندر ويزعمون « انَّ هذا الملك جعل طولها الف ذراع وانهُ عمل على رأسها مرآة ينظر فيها الناظر فيرى المراكب اذا خرجت من افرنجة او من القسطنطينيَّة او من سائر البلاد لغزو الاسكندريَّة » الى غير ذلك من الخرافات التي هي عن الصدق مناط الثريا. قال ياقوت في معجم البلدان (ص١ : ٢٦٣) : « قد أكثر الكتَّاب في وصف هذه المنارة وبالغوا في عظمها وهوَّلوا في امرها وكل ذلك كذب لا يستحي حاكيهِ ولا يراقب اللهَ راويه ». وجاء في آثار البلاد للقزويني (ص٩٨) انَّ المنارة بقيت الى زمن الوليد بن عبد الملك وانهُ هدم نصفها وأزال مرآتها طمعًا في الدفائن والاموال التي كان احد دُهاة الروم وعدهُ باستخراجها منها. وقال ياقوت انهُ زار (في أواخر القرن الثاني عشر) منارة الاسكندريَّة فوجدها « بنية مربَّعة شبيهة بالحصن والصومعة ... وهي عالية على سنّ جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الاسكندريَّة بينها وبين البحر نحو شوط فرس ... ولها درج واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسهِ وقد سُقِّفت الدرج بحجارة طوال مركَّبة على الحائطين المكتنفين للدرجة فيُرتقى الى طبقة عالية مشرفة على البحر بشُرفات محيطة بموضع آخر كأنَّهُ حصن آخر مربَّع يُرتقى فيهِ بدرج أُخرى الى موضع آخر يُشرف منهُ على السطح الاول بشرفات أُخرى. وفي هذا الموضع قبَّة كأنَّها قبَّة الديدبان (وقد أورد ياقوت شكلها في كتابهِ كما تراهُ هنا) وليس فيها كما يُقال غُرَف كثيرة ومساكن واسعة يضلُّ

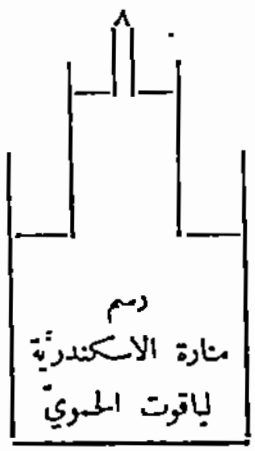

رسم منارة الاسكندريَّة لياقوت الحمويّ

الشكل ٣ عدسات فريتل الحاكمة للنور

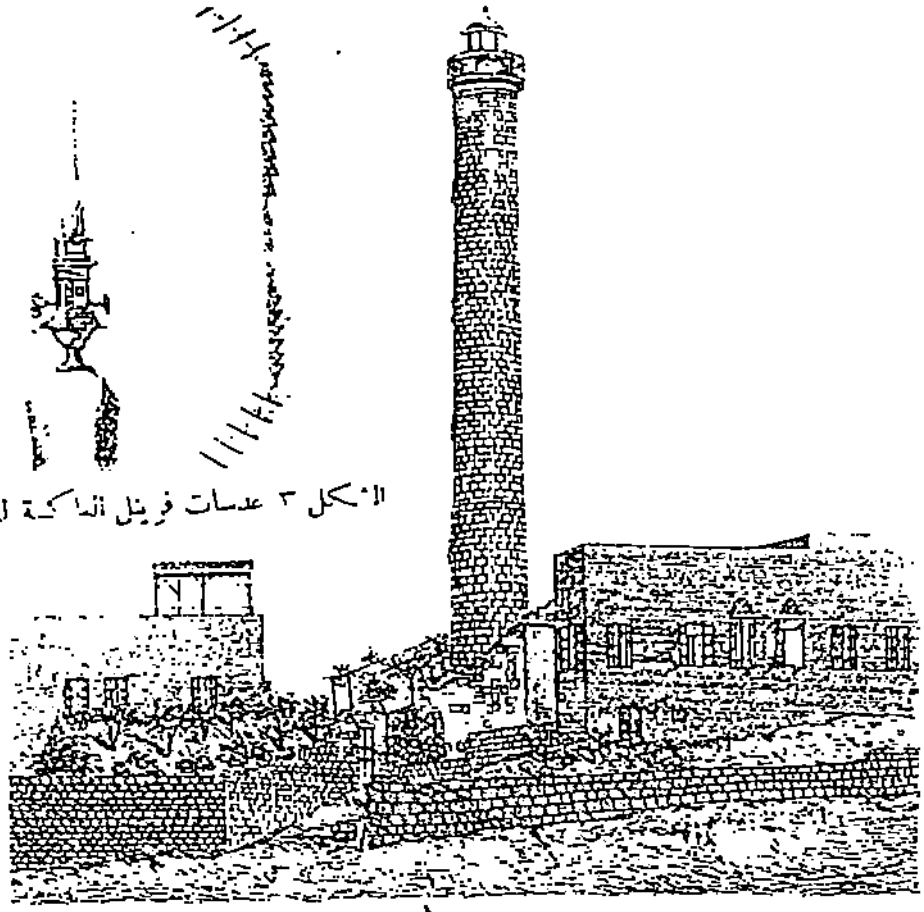

الشكل ١ منارة رأس بيروت

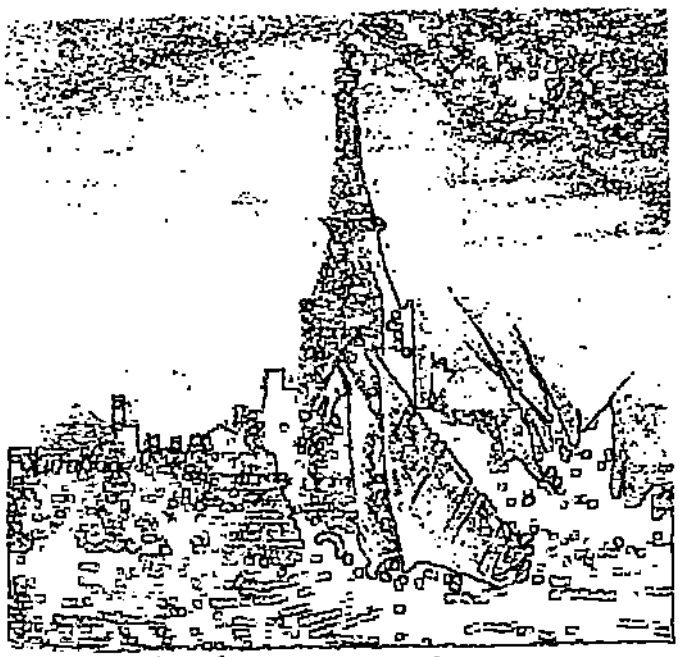

الشكل ٢ آثار منارة الاسكندرية قديماً

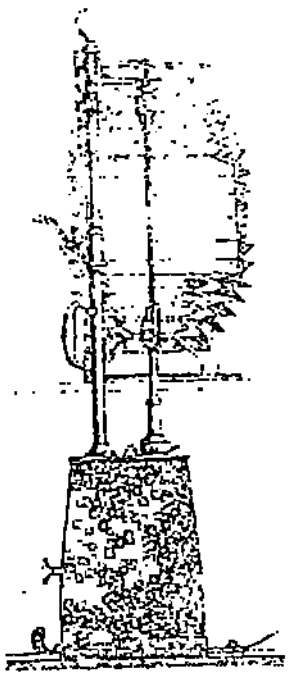

الشكل ٤ جهاز منارة
ذات نور كهربائي ثابت

فيها الجاهل . . . فهذا الذي شاهدتهُ وضبطتهُ وكلُّ ما يُحكى غير هذا فهو كذب لا اصل لهُ » انتهى كلام ياقوت . وفي سنة ١٣٠٣ خربت منارة الاسكندريَّة اخربتها عاصفة شديدة فلم يبقَ منها سوى آثار . وللاسكندرية اليوم منارة حديثة بُنيت سنة ١٨٨٢ على طرز المنار الاوربيَّة

ولمَّا صار الامر الى الرومان واتسعت دولتهم واحتاجوا الى الاساطيل القويَّة لمحاربة الشعوب القاصية سعوا بتوفير المنار وتحسين ابنيتها فشيَّدوا منها عددًا لا يُحصى وقد اطرأ الكتبة في وصف منارة اوستيا عند مصب نهر التيبر ابتناها كلاوديوس قيصر . ومنها منارة تنسب الى قاليغولا شيَّدها عند بوغاص بحر المنش في مدينة بولوني في فرنسة . وكانت من الاعمال الجباريَّة لها اثنتا عشرة طبقة على شكل الهرم مثمَّنة الزوايا علوها مئة قدم

ومن اشتهروا في بناء المنار الفرنسيون والانكليز . فان هاتين الدولتين لمجاورتهما البحار لم تريا بُدًّا من إحكام المنار لصيانة سفنهما . فمن ذلك منارة كورديوان في مدخل نهر جيرُند في فرنسة بُنيت في القرن التاسع وأُتقن بناؤها كما يُستدلُّ على ذلك من آثارها وكان ارتفاعها ٦٣ مترًا . وللفرنسويين أبراج أُخرى عديدة لا يسعنا هنا تعدادها . امَّا الانكليز فلم يشيِّدوا المنار المنظَّمة الَّا في القرن الثالث عشر . ثمَّ تشكَّلت بينهم في القرن السابع عشر جمعيَّة كبيرة انشأت المنائر في عدة امكنة وتولَّت ادارتها وكانت تستقضي من أصحاب المراكب رسومًا معاومة سدًّا للنفقات . ومن جملة هذه الابنية الانكليزيَّة منارة إدستون عدَّها الكتبة من طُرَف الاعمال ومنها منارة سمالس (Smalls) شيَّدها الانكليز سنة ١٧٩٩ على صخرة تغمرها المياه وقت الانواء الشديدة . وقد جُدِّد بناؤها سنة ١٨٦١

الَّا ان فن المنار لم يترقَّ ترقيًا يُذكر الى أواخر القرن الثامن عشر . فاخذ حينئذٍ الاوربيون يُعنون في هذه الابنية وادواتها المنيرة حتى انها دخلت مذ ذاك الحين في طور جديد كما سترى

ابنية المنار ليس فضل المنار الجديدة في ابنيتها . ولو قابلنا بين الابراج الحالية والابراج القديمة لعلمنا وجدنا منار عديدة بناها الاقدمون اتقنوا صنعها واحكموا هندستها اكثر من المنار الحديثة

والمنار في أيامنا تُبنى اما بالحجارة او بالآجر ومنها ما يكون بالحديد وفي اماكن قليلة بالخشب. وعلوُّها يختلف بحسب غاية اصحابها فان ارادوا الاستنارة بها على مسافة بعيدة زادوا في ارتفاعها ليبلغ نورها الى مدًى اقصى. ولذلك كثيرًا ما تُبنى هذه المنار فوق ربوةٍ مشرفة على البحر كما ترى في منارة بيروت

ولمَّا كانت المنار عادةً شاهقة العلوّ تُلاطم جوانبَها الامواج فلا بُدَّ من المبالغة في اتقان اساسها ووضع اركانها واكثر ما يكون تشييدها على الصخر الاصم او حجر الصوّان كما فعل الفرنسيون في منارة كرستون (Kersanton) التي انجزوا عمارتها منذ ثلاث سنوات فجعارها فوق الحجر الحبَّب المانع. وهذه الاركان تكون في الغالب على شكل مربَّع لتزيد متانةً

اما برج المنارة فتكون هيئتهُ من خارج اما مربَّعًا واما مثمن الزوايا او مستدير الشكل. والابراج الشائعة اليوم هي المستديرة لانها تقوى على سورة الريح اكثر من سواها واذا صدمتها المياه كان فعلها فيها اخفّ وألطف. وبعض المهندسين يفضّلون المثمنة الزوايا لحسنها ولما بينها وبين الاركان من التناسب الهندسي وهي تقوم ايضًا كالمستديرة في وجه الرياح وصدمات الامواج. ولا بأس من اتخاذ الابراج المربَّعة الشكل اذا كانت المنارة قليلة الارتفاع او اذا بعدت عن الامواج. اما داخل المنار فيكون عادةً مستديرًا وقطرهُ مساويًا على الاقل لقطر الفنار. ويُصعد الى رأس المنارة بدرج لولبي يُجعل لهُ كوًى تُنيرهُ وهذه الكوى لا تُفتح الَّا من الجهة المخالفة لهبّ الريح

وفي اعلى المنارة يُجعل المصباح الذي يرمي بنوره الى البحر يُحيط به طنفٌ بدرابزين متينة. ولاكثر المنار آلة صافرة تُضغط في أيام الغيوم الكثيفة وأبان الضباب فيُسمع صوتها من بعيد فتقوم للبحريين مقام نور المنارة الذي تحجبهُ آنئذٍ السُّحب

ولا بُدَّ لبرج المنارة من جدران عريضة متينة لاسيما اذا كانت مرتفعة عالية لتستطيع وقتَ الانواء والعواصف ان تقوم في وجه الرياح الشديدة. وللريح في بعض الاحيان ضغطٌ يساوي ٤٤٠ كيلوغرامًا وهو ضغط بالغ لا تقوى عليه الَّا الابراج المحكمة البنيان وقد سمعنا من عامل منارة بيروت انَّ في فصل الشتاء يهتزُّ رأس المنارة اهتزازًا فيميل تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال

وَقود المنار كان الاقدمون ينيرون منارهم بوقود من

الحطب او الفحم يشعلونهُ في اعالي الابراج سحابة الليل فيرى الملاَّحون نيرانها عن بُعد ويأخذون حذرهم بمشاهدتها. وبقيت هذه الحال الى سنة ١٧٧٠ وفيها استبدل البعض هذه الانوار الضعيفة بمصابيح نيّرة وراءها صفائح صقيلة من المعدن تعكس النور الى جهة البحر. غير انَّ هذا الضياء لم تفِ بالمقصود لانَّ فتائل المصابيح كانت سويَّة مسطَّحة فكان نورها ضعيفاً

وفي سنة ١٧٧٤ وضع العلاَّمة الطبيعي ارغان (Argant) مصباحاً ذا فتيلة اسطوانية مجوَّفة يجري نورها بجريان من الهواء تصونها زجاجة مستديرة فكان هذا المصباح اكتشافاً مهمًّا وبهِ ابتدأ ترقي ادوات التنوير في المنائر. وهذا المصباح لا يزال مستعملاً الى يومنا هذا مع تحسينات جديدة زادتهُ متانةً. وربَّما يُجعل لها فتيلتان واكثر يدخل بعضها في بعض فيسطع نورها الى الاماكن القاصية. ومنذ سنين قليلة لمَّا شاع المصباح ذي الرأس المعروف برأس أور (bec Auer) الذي مرَّ وصفهُ في المشرق (١ : ٤٥٧) اتَّخذهُ مهندسو المنائر بدلاً من المصباح القديم فان هذا المصباح مع غلافهِ المعدني اضوأ نوراً واكثر اقتصاداً. امَّا الوقود فكان ولم يزل الزيت النباتي وخصوصاً زيت كُلزا او زيت السلجم (huile de colza) لضوئهِ اللامع وكثيرون اليوم قد اتخذوا بدلاً منهُ غاز البترول المصفَّى لرخصهِ وكثرتهِ (راجع المشرق ١ : ٢٤٤)

ومما يقوم اليوم مقام هذه الانوار الكهربائية لكنَّها لا تُستعمل الَّا في المنائر الكبرى لنفقاتها الطائلة وينبغي لها جهاز خصوصي والكهربائية تتولد فيها ببطاريَّات قويَّة وادوات بخاريَّة تبعث انواراً مضيئة تبلغ قوة بعضها الوفَ الوفٍ من شمع كَرسل القياسي (راجع المشرق ١ : ١٨٤). مثال ذلك منارة پانيه (Panier) بقرب مرسيلية فانَّ نورها الكهربائي كنور ٣,٠٠٠,٠٠٠ من شمع كرسل يبلغ وقت الصحو الى مسافة مئتي كيلومتر بنيف

ادوات المنائر العاكسة للنور لا يخفى ان اشعة النور اذا لم تُجمَع تبدَّدت في الجوّ وضعفت قوتها. ولذلك سعى اصحاب المنائر ان يتخذوا ادوات تضمُّ هذه الاشعة. واوَّل ما وضعوا لذلك مرايا صقيلة مقعَّرة كانت تدور حول المصباح المنير فتعكس انوارهُ الى اربع جهات السماء. اكتشف ذلك العلامة الفرنسوي تولار (Teulère) سنة ١٧٨٣. وكان لهذا الاكتشاف رنَّة عظيمة فاسرعت الدول الى استعمالهِ لاسيما الانكليز الذين استمروا عليه الى عهدٍ قريبة من ايَّامنا. وبهذه

الواسطة كانت انوار المصابيح تبلغ الى مسافة ٣٠ كيلومترًا

غير ان هـذه المرايا المقعَّرة العاكسة تُضيع قسمًا من انوار المصابيح لسبب الخلل المعروف بالخطإ الكروي (aberration de sphéricité) فلا تتجمَّع الاشعة كلها في بؤرة واحدة ولذلك اخذ العلماء يبحثون عن طريقة أكمل من طريقة تولار . فاصاب المرمى بينهم فرينل (Fresnel) احد مشاهير العلماء الفرنسويين تلميذ الفلكي المبرِّز اراغو (Arago) فهذا الرجل العظيم انقطع الى درس خواصّ النور والادوات العاكسة وكان يعرف ان للعدسة المحدَّبة خاصة وهي انها تعكس كل الاشعَّة المنبعثة من بؤرتها على خطوط موازية لقطبها فاستنتج من ذلك انهُ يمكن اصلاح الخطإ الكروي اذا جعل فوق العدسة الوسطى المحدَّبة عدسات أُخرى ينظِّمها على شكل درج ليجمع بذلك كل الاشعَّة دون ان يضيع منها شيء . فاختبر الامر بالفعل فوجد ان نور المصباح يتضاعف بذلك . ثم جعل عدساتهِ قليلة السمك اللا يمتصّ منها الزجاج قسمًا فزاد ايضًا النور قوَّةً

فهذا الاكتشاف العجيب بلَّغ المنار درجةً من الحسن والكمال لم يدورا في خلد احد . وهذه العدسات العاكسة هي اليوم شائعة في كل العالم يمكن اهل الثغر ان يروها في منارة رأس بيروت . وقد جعلنا رسمها هنا ليفهم تركيبها القراء (راجع الشكل الثالث)

أنوار المنار ان المنار لا تؤدي سوى خدمات يسيرة لولا اختلاف انوارها وتلوُّنها ولذلك اتُّخذت للدلالة على مدلولات متعدِّدة فلو كانت مثلًا الانوار متشابهة في منارتي بيروت وصيداء لامكن ارباب البحر ان يُخدعوا بهما ليلًا فيقرِّبوا سفنهم من الساحل ويصادموا صخور رأس بيروت وهم يظنون ان لا بأس عليهم لوجودهم في جوار صيداء . وعليهِ همَّ مصطنعو المنار ان يجدوا طرائق لتلوين أنوارها وتغيير حركاتها ليميِّز البحَّارون نورًا عن نور ومنارة عن منارة فيدبروا سفنهم على حسب الامكنة . واكثر ما تكون اليوم أنوار المنارات على اربعة ضروب

الضرب الاول هو ما كان ثابت النور وتُتخذ لذلك عدسة حلقيَّة بسيطة تجمع النور في نقطة واحدة فيراهُ البحارون دون انقطاع بلمعان واحد لا ينقص ولا يزيد . وربَّما كانت هذه الانوار الثابتة مختلفة الألوان من احمر واخضر الخ

الضرب الثاني من المنار ما ضاء فيها النور مدّةً واحتجب مدة. ولاصطناع هذه المنار يتخذون عدّة عدسات يجعلونها على شكل قبّة مسدّسة او مثمّنة الزوايا يديرونها حول المصباح الى كل جهات الأفق فينيرونها بالتوالي. والنور يظهر في المكان الواحد عند مرور النقطة الوسطى من العدسات بازائه ثم يحتجب بعد اجتيازها الى ان تمرّ نقطة ثانية وهلمّ جرًّا. امّا دوران القبّة حول مصباح المنارة فيختلف سرعةً على مقتضى رغبة المهندسين. ومنارة بيروت من هذا الصنف الثاني تدور قبّتها حول المصباح في ست دقائق فيظهر النور في النقطة الواحدة ست مرات ويحتجب ست مرات

الضرب الثالث من المنار ما صدرت منهُ أنوار برقيّة من وقت الى آخر. وذلك انّ العلماء لاحظوا ان للنور قوةً اشدّ اذا سطع على هيئة البرق وسرعته ثمّ احتجب بغتةً. فجروا على هذا الناموس واتخذوا ادوات تشعّ في الجوّ كالبرق تخطف البصر خطفاً فيرتشد برؤيتها اصحاب السفن واكثر ما يُستعمَل لهذه المنار النور الكهربائي. امّا الذي اكتشف هذه الطريقة لتنوير المنار فهو المهندس الفرنسي بوردل (Bourdelles) منذ عهد قريب. وقد اخذ الفرنسويون يجهّزون منارهم باجهزة من هذا الطرز الجديد (راجع الشكل ٤)

الضرب الرابع هي المنار التي لا نور لها وانّما لها مرآة يضرب عليها النور من محل آخر فتعكس هذا النور الى جهة معلومة بتناشير منظّمة لذلك. ومن هذا الصنف منارة بُنيت عند جزائر هِبْريد فوق صخر في وسط البحر يأتيها النور من جزيرة لويس (Lewis) وهي تبعد عنها نحو ١٥٠ مترًا

هذا ونضرب صفحًا عن انوار أُخرى تجري مجرى المنار اخصّها الاضواء الطافية فوق المياه (feux flottants) تُجعَل في قرب الصخور الخطرة او عند مداخل المراسي وغير ذلك ممّا لا يسعنا هنا وصفهُ

مناور البحر المتوسط كنّا نودُّ قبل ختام هذه المقالة ان نتتبّع الدول لنعدّد ما لكلٍّ منها من المنار ونَصف ما اصابتهُ في تجهيزها من التحسينات. لكن ذلك يضطرّنا الى مجاوزة الحدود التي تحرّيناها وحسبك ان تعلم ان فرنسة هي اليوم المتقدّمة بين الدول في وفرة مناورها وحُسن ادواتها فان لها ٤٨٣ منارة منها ٢٠ ذات نور كهربائي. وتأتي بعدها انكلترة مناورها ٢٩٠ اربعة منها فقط كهربائيّة

اما بحرنا المتوسط فقد تولى انارتهُ بالمنار شركة فرنسويَّة منحتهـا الدولة السنية امتيازًا منذ خمسين سنة . وادارة هذه الشركة في باريس يرأسها اليوم الفرنسويان كولاس (Collas) وميشال (Michel) ويمثلها في الاستانة العليَّة المسيو اميل بودوي (Baudouy) وفي بيروت الخواجا يوسف افندي ضمان

وهذه الشركة قد شيَّدت نيفًا و ٥٠ منارة منها ١٣ في سواحل سوريَّة و ١٠ في الاناضول وبوغاص الدردنيـل ونحو ٢٠ في الارخبيل و ٣ في بحر الادرياتيك و ٤ في طرابلس الغرب . ومنذ شهرين باشرت بناء اربع مناور في البحر الاحمر وفي جبل الطير وفي جزيرة ابي ايل ومدينة سُنا

اما مناور ساحل الشام فهذه مواقعها : يافا الكرمل حيفا عكا صور صيداء بيروت طرابلس جزيرة رمكين (على ٥ اميال من طرابلس) ارواد اللاذقيـة رأس ابن هانئ (على مسافة ساعة من اللاذقية) اسكندرونة وكراداش في جون الاسكندرونة . ولكل هذه الامكنة أنوار خاصَّة منها ثابتة بيضاء مفردة كاللاذقية او مضاءنة كصور وبعضها حمراء مفردة كطرابلس او مضاعفة كصيداء . ومنها ما يدور بدوران مختلف السرعة كمنارة بيروت ورأس الخانئ . وادوات هـذه المناور تختلف بالكبر والقوَّة . واكبرها في رأس الكرمل يبلغ نورهُ الى مسافة ٥٠ كيلومترًا . اما بيروت فمنارتها لا تبلغ الَّا الى مسافة ٣٥ كيلومترًا . وكذلك تختلف ابراج هذه المناور بالعلوّ و برج منارة بيروت الذي بُني سنة ١٨٦٢ طولهُ ٣١ مترًا (انظر الشكل الاول ص١٠٤٥) وليس في مناور بحر الشام منارة ذات نور كهربائي بل كلها مصابيح ذات فتائل اسطوانيَّة كما سرَّ وصفها . ويُستناو فيها بزيت البترول ومعدَّل ما يُشعل منهُ في الليلة في بيروت ٤ اقَّات

اما الرسوم التي تؤديها السفن التجاريَّة لادارة المناور فهذه قائمتها : لا رسم على المراكب التي يقلُّ شحنها عن ٤٠٠٠ كيلوغرام . ومن ٥ الى ٨٠٠ طن يؤدّي البحريُّون ١٨ بارة (صاغ) ومن ٨٠٠ الى ما فوق ذلك يزاد ٩ بارات على كل طن

ختام فيؤخذ مما تقدَّم ان المناور وادواتها بلغت في عهدنا ترقيًا عظيمًا وقد بيَّن ذلك اصحابها في معرض باريس فانهم كانوا جمعوا في ردهة كبيرة كل ما يختصّ بالمناور وكان الزوار يزدحمون فيهـا لمشاهدة هذه الطرائق والمخترعات العجيبة التي وصفنا منها بعضًا من عدّ . والسلام

مطبوعات شرقية جديدة

جدولان للحروف الشرقية والغربية ثم للخطوط السريانيَّة

لصاحب الفضيلة طاهر افندي الجزائري

اهدانا هذين الجدولين النفيسين صاحبهما الفضال فرأيناهما حريَّين بالذكر وقد ضمَّنهما المؤلف ما وجده من الحروف الساميَّة كالعبرانية والسامريَّة والسريانيَّة (في فروعها الثلاثة) والحبشية والحميريَّة والصفويَّة والفينيقية والمماريَّة وقابل بينها وبين الحروف الهيروغليفيَّة والهنديَّة والارمنيَّة وحروف الشعوب الاوروبية. وقد اتسع في تعريف الحروف السريانية وهيئاتها المختلفة منفردة ومتَّصلةً مع الحرف الكوفي الموافق لها واضاف اليها جداول حركاتها واسفارها واسماء متنوعة منها. وقد طُبع هذان الجدولان طبعاً متقناً في مطبعة ولاية سوريَّة في دمشق. نفعنا الله بمعارف مؤلفهما زمناً طويلاً

Lehrbuch d, samaritanischen Sprache u. Literatur
v. J. Rosenberg, *Wien*, in - 12, SS. 182

اصول اللغة السامريَّة وادابها

قد باشر بعض علماء المانية والنمسة منذ عشر سنوات عملاً جزيل الافادة وهو انهم صنَّفوا لكل لغة من اللغات الشائعة في عهدنا كتاباً صغير الحجم كثير المواد اودعوه خلاصة صرف ونحو هذه اللغات مع نخبة من تآليفها الادبيَّة ومعجم صغير لمفرداتها. والكتاب الذي نحن الآن بصدده هو الحادي والسبعون من هذا المجموع صنَّفهُ احد معلمي اللغات الشرقيَّة الدكتور روزنبرغ اودعهُ لباب اللغة السامريَّة مع طرفة من آثارها الباقية الى زماننا وفي آخرها صورة رسالة كتبها حديثاً كبير كهنة السامريين بالعربية والسامريَّة. ومن اطَّلع على هذا الكتاب يجدهُ آيةً في حسن الطبع وجمال الحرف واتقان العمل ل. ش

SION IN JERUSALEM
was es war, und wo es lag.
von G Gatt Missionarius apstolicus, Brixen 1900

في تعريف موقع جبل صهيون في اورشليم

طالما اشكف صاحب هذا الكتاب الاب ج. غات خوري رعيَّة اللاتين في غزَّة

على درس الاراضي المقدسة وقد صنّف في ذلك المقالات المطوّلة والتآليف العلمية الجليلة التي جعلتهُ في مصفّ علماء العاديّات الفلسطينية . ومدار الكتاب المعنوّن آنفًا على بحث مهمّ تضاربت فيهِ الآراء اعني موقع جبل صهيون . والتقليد الحلّي يجعل هذا الجبل فوق الربى الجنوبية الغربيّة من المدينة المقدسة . غير ان بعض مفسّري الكتاب الكريم بين المحدثين نكروا ذلك وخطّأوهُ . وغاية الاب غات في تأليفهِ ان يثبت صحّة التقليد مستندًا في قولهِ الى براهين عديدة يوضحها باجلى بيان . ثمّ يفنّد حجج هؤلاء المحدثين معلنًا ما فيها من الوهم والمزاعم الواهنة . ولولا ان ايضاح هذه الادلّة يخرجنا الى حدود الاطالة لعرضنا هنا قسمًا من بيّنات الكاتب الفاضل . ومهما لا يسعنا السكوت عنهُ شكرنا لحضرتهِ على هذه الخدمة الجديدة التي خدم بها الدروس الكتابية والمباحث الفلسطينية . وفي آخر الكتاب رسمان يمكّنان القارئ من فهم براهين المؤلف ه.ل

شذرات

معرض طبعات الكتاب المقدس اجتمع ارباب الطباعة في كريستيانيا فاتفقوا على ان يقيموا معرضًا يجمعون فيهِ كل طبعات الكتاب المقدس منذ اول اكتشاف فن الطباعة الى عهدنا وذلك في كلّ اللغات المعروفة . وفي كريستيانيا اليوم اربعون معملًا للطباعة يشتغل فيها ١٣٠٠ عامل هذا فضلًا عن عشر مطابع حجريّة يرتزق فيها ١٥٠ عاملًا

ورق الصحافة قد انفق الالمان السنة الماضية ١٥٥,١٥٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق في لوازم الصحافة ولعل هذه الكميّة تزيد في السنة الجارية نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠

سرعة المراكب ١ً المراكب البخاريّة . اسرع مركب بينها دوتشلند من شركة هنبورغ قطع المسافة بين نيويرك وبليموث في خمسة ايام وسبع ساعات و ٣٨ دقيقة فكانت سرعتهُ في الساعة ٤٣ كيلومترًا — ٢ً المدرّعات . فازت بينها الدارعة الانكليزيّة « فرميدبل » فانّ سيرها يبلغ ١٩ عقدة في الساعة اي نحو ٣٦ كيلومترًا . والآن يسعى الايطاليون في تعمير دارعة « بنديتّو برين » التي ستقطع ٢١

عقدة في الساعة . اما الفرنسيُّون فدواليبهم تجري كلها جرًا متساويًا فتقطع ١٨ عقدة فقط — ٣ الطرادات . فاز فيها الفرنسيون بقصب السبق . فان الطرّادتين غيشن وشتُورينو يقطعان في الساعة ٣٤ عقدةً ونصفًا — ٤ النسّافات . يتجارى الالمان والانكليز في ميدان السباق لتزيد سرعة نسّافات كل دولة على الاخرى . فسيَّر الالمان سنة ١٨٩٢ نسّافة كانت تقطع ٢٧ عقدة في الساعة فكان لهم السباق الى سنة ١٨٩٧ غلبهم الانكليز بنسّافتهم « تُربينيا » التي بلغت في سيرها نيفًا و ٣٢ عقدة . ثمَّ عاد الالمان السنة التالية فسيَّروا نسّافات قويّة ارسلوها الى الصين ادركت ٣٥ عقدة بنيف . وفي سنة ١٩٠٠ سبقت هذه النسّافات السفينة « كُبرا » الانكليزيّة من صنف السفن الماكسة للنسّافات قطعت نحو ٣٦ عقدة (والعقدة كالميل البحري تساوي ١٨٥٢ مترًا)

عاديّات مصريّة باشر المسيو غيمه الحفر في مدافن الشيخ عبادة (Antinoë) في الصعيد منذ نحو عشر سنوات فاستخرج منها كثيرًا من العاديّات نظَّمها في باريس في متحف جميل . ومما اكتشفهُ هيكل مصري لرعمسيس الثاني وهيكلان آخران من البناء الروماني . وفي سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ وجد عددًا وافرًا من الانسجة القديمة من القماش والحرير والثياب المطرَّزة جعلها الاقدمون على موتاهم . ووجد ايضًا مدفن القديس السائح سيرابيون والقديسة التائبة تئيس (Thaïs) او تاسية وكانت اجسادهما محنَّطة على هيئة عجيبة اما تئيس فكانت لابسة ثيابًا فاخرة مضَّجعة على سعف النخل في شمالها طاقة من الزهور وعلى جانبها ادوات مختلفة تدلُّ على حياتها القشفة بعد توبتها منها قُفف اشتغلتها بيدها وسُبحة للصلاة وصلبان من الخشب . اما سيرابيون مرشدها الى الفضيلة بعد ضلالها فكان راقدًا بقربها لابسًا ثوبًا من الصوف متمنطقًا بزنّار من الجلد وعلى عنقهِ شبه بطرشيل . وقد وجد المسيو غيمه في هذا المدفن صفائح من الشمع كانوا يتخذونها للكتابة واوراقًا من البردي عليها كتابات شتى ودواة من الشبَه الى غير ذلك مما يعرّف احوال ذلك العصر

مجلة الاراضي المقدسة اطلعنا على عددها الصادر في تاريخ ١ تشرين الثاني فوجدنا مديرها الفاضل قد نشر كراسة حضرة الشماس بشارة عيد في اصل الروم الملكيين (راجع المشرق ٤ : ٥٢٥) . ومن عجيب الاتفاق انهُ وردتنا في الوقت ذاتهِ مجلة « الشرق المسيحي » التي هي تحت ادارة المدير نفسهِ وفيها (ص ٣٤١

—٣٤١) مقالة تناقض قول حضرة الشماس مناقضةً تامّة يستند صاحبها الى آراء العلماء فاخذتنا الحيرة ولم ندرِ مَن نصدّق أمجلة الاراضي المقدّسة ومُكاتبها حضرة الشماس ام اختها مجلة الشرق المسيحيّ التي توافق رأي المشرق مع رأي جميع المستشرقين

أسئلة وأجوبة

س سألنا جرجي افندي سليم طراد عن أوفق كلمة لتعريب اللفظة الفرنسويّة manie

ج تأتي اللفظة الفرنسويّة المذكورة بمعنيين فان أُريد بهـا جنونٌ خفيف فتعريبها « اللَّمَم » او « المسّ » وان أُريد بهـا غرابةُ العقل فيوافقها في العربيّة « الهوَس » او « العتاهة »

س وكتب من رومة الاخ اغابيوس نعُّوم: « ما هو حرف النداء في نحو الحارث اذا أُريد نداؤهُ بعيدًا اذ لا يجوز ان تدخل عليهِ لا « ايها » ولا « ذاك » على ما نصّ عليهِ العلّامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مختصر ارجوزتهِ » (ص٣٠٠)

دخول النداء على الاعلام المحلّاة بال التعريف

ج اكثرُ النحاة على انهُ لا يجوز تقديم حرف النداء على مصحوب أل التي للمح الصفة اذ لا يجتمع معرّفان عليهِ اعني حرف النداء وأل التعريف. فلا يقال « يا ايهـا الحارث » ولا « يا ذا الحارث » امّا اذا أُريد النداء في هذه الاسماء فتُحذف اداة تعريفها ويقال: يا حارث. على ان هذا الرأي ليس بمطلق وقد اجاز نحاة مبرّزون ادخال اي مع هاء التنبيه على مصحوب ال في الاعلام كالفرّاء والجرمي كما نصّ عليـهِ الصبّان في حاشيتهِ على الاشموني (الجزء ١ ص ١٤٣) وقد وجدناهُ في الشعر القديم ل.ش

س وسأل من ميداء جناب الاديب توما افندي كيّال ما هي بلياس التي تكرّر ذكرها في تاريخ الصليبيين

بلياس

ج بلياس هي بانياس الحاليّة التي موقعهـا عند حلف جبل الشيخ عند مخرج الاردن. ويوجد بانياس اخرى على ساحل البحر بين طرابلس واللاذقية يدعوها الكتبة الصليبيون (Valenia) ويسمّيها العرب ايضًا باليناس وبلنياس ه.ل

قائمة للآثار الجوية من ٢١ تشرين الاول الى ٥ تشرين الثاني ١٩٠١

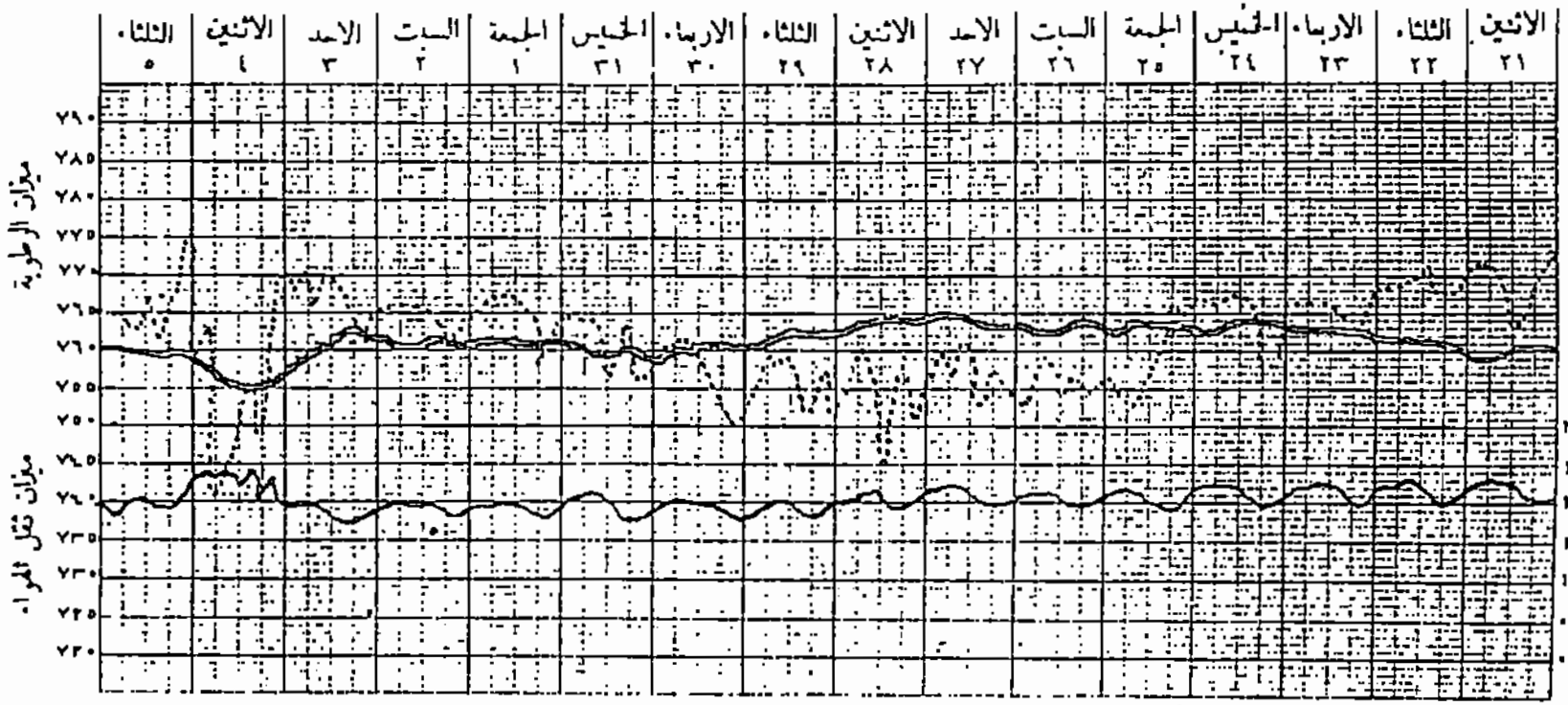

انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروميتر — والخطُّ الرفيع المتتابع (—·—) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امَّا الخطُّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات